طريق الوصول إلى علوم البلاغة

شرح ميزان البلاغة

للعلّامة الشّاه عبد العزيز الدّهلوي رحمه الله المتوفّى ١٢٣٩ھ

تشريح

محمّد أنور البدخشاني

شيخ الحديث بجامعة العلوم الإسلاميّة
علّامه يوسف بنوري تاؤن كراتشي

طريق الوصول إلى علوم البلاغة

شَرْح مِيْزان البلاغَة

لِلعلّامة الشّاه عبدُ الْعزيزالدّهلوي رحمه الله المُتوفّى ١٢٣٩ھ

تشريح

محمّد أنور البدخشاني

شَيْخ الحَدِيثْ بجامِعَة العُلوْم الإسْلامِيّة
علّامه يوسف بنوري تاؤن كراتشي

شرح

ميزان البلاغة

(للعلامة الشاه عبد العزيز الدهلوي المتوفى ١٢٣٩هـ)

تشريح

محمد انور البدخشاني

الاستاذ بجامعة العلوم الاسلامية بنوري تاؤن

كراتشي باكستان

بيت العلم - كراتشي، باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

الحمد لله رب العالمين، ربّ السّموات والأرضين، والصّلاة والسّلام على أفضل الأنبياء وأفصح المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد: ففى أثناء فترة الحصص التدريسية (اليومية) كنتُ أتفحّصُ عن الكتب النادرة النّافعة فى مكتبة الجامعة، فإذا أنا برسالة موجزة جامعة (فى البلاغة) باسم "ميزان البلاغة" للشاه عبد العزيز الدهلوى رحمه الله (المتوفى ١٢٣٩) للهجرة حوالى ٢٤ صفحة، وقد مضت عن طباعتها الأولى (بالمطبعة المجتبائية بالهند) مائة وثلاث سنوات، وهى طباعتها الآخرة أيضًا، وعليها تعليق نفيس للمفتى الأكبر (بدارالعلوم ديوبند) المفتى عزيز الرحمن الديوبندى رحمه الله تعالى (المتوفى ١٣٤٧ للهجرة)، وأسلوبها أسلوب متون المتقدمين فى غزارة العلم، ونضارة الصوغ، وغموض التعبير، وترك الأمثلة وعدم الشواهد، فطالعتها مرارًا، ووجدتها بحرًا مملوءً باللآلئ، تحتوى على أصول البلاغة الأساسية، وعلى زبدة مباحث العلوم الثلاثة: المعانى، والبيان، والبديع، ولكن على نهاية الإيجاز، حتى وصلت إلى حدّ الإعجاز، بل كاد أن يكون بعض عباراتها كالإلغاز، وخاصّةً بحث الحقيقة

منها والمجاز، ومع ذلك كلّه مُمِدّةٌ فى فهم الفصاحة ودراية الإعجاز.

فشرحتها وبَسَطتُها، وزدت عليها العناوين والأمثلة والشواهد والترقيمات، ثم ألحقت فى آخر كلّ بحث أو باب شيئًا من التمرينات، حتى ألفيته مناسبًا لمنهج البنات، بل لجميع طلاب المدارس والجامعات، فأسميته طريق الوصول إلى علوم البلاغة فى شرح ميزان البلاغة.

وأرجو من الله الكريم أن يتقبّلها، ويجعلها ذخرًا لى يوم القيامة، وهو المسؤول ومنه القبول.

وكتبه

محمد أنور البدخشانى

فى ٢٨/ ٧/ ١٤١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
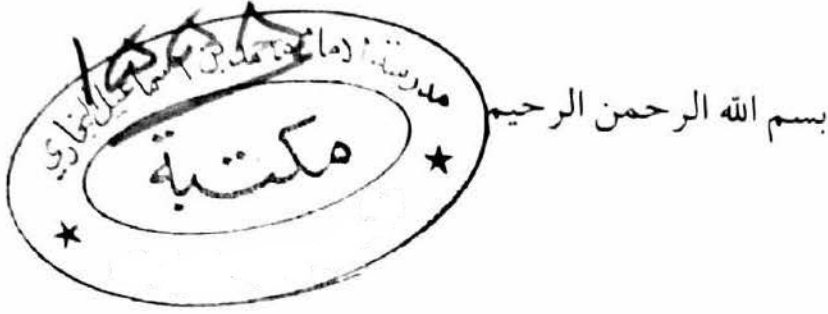
الحمد لله تعالى، والصلاة على نبيه تتوالى، وعلى آله وأصحابه، وناصريه ومحبّيه، أمّا بعد: فهذ مقدمة فى الفصاحة والبلاغة.

تعريف الفصاحة وأقسامها:

١- **الفصاحة فى اللغة**:الظهور والبيان كما فى قوله تعالى: ﴿وأخى هارون هو أفصح منّى لسانًا﴾ أى أبيّن منّى منطقًا وأظهر قولا، ويقال: أفصح الصّبى فى كلامه إذا بان وظهر كلامه.

٢- **وفى الاصطلاح**: هى عبارة عن ظهور الألفاظ وتبادرها إلى الفهم، وكونها مأنوسة الاستعمال بين الكتّاب والشعراء.

ويقال: فصيح لمن له قدرة على إنشاء كلام فصيح، كما يقال: بليغ لمن له قدرة على إنشاء كلام بليغ.

١- **فالمتكلم الفصيح**: هو الذى يقتدر على التعبير عن مقصوده بلفظ، فصيح، فمن يحكى كلام الفصحاء وليس عنده تلك القدرة لا يكون فصيحًا.

٢- **والكلام الفصيح**: ما خلت مفرداته عن تنافر الحروف والغرابة واختلال الصيغة (مخالفة القياس) وخلا تركيبه عن تنافر الكلمات وضعف التأليف، وعن التعقيد لفظًا ومعنًى.

١- **تنافر الحروف**: هو وصف فى الكلمة يوجب ثقلها على اللسان،

فيَعسُرُ النطق بها، كما فى لفظ "مُسْتَشْزِرات" بمعنى مرتفعات، فإن الذوق السليم يعدّه ثقيلا متعسّر النطق.

٢- الغرابة: هى كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، وغير مأنوسة الاستعمال، كلفظ "تكأكأتم" بمعنى اجتمعتم، ولفظ "مُسرَّجًا" فإنه لا يُعرف معناه هل هو كالسّراج فى البريق واللمعان، أو كالسيف السريجى فى الدقة والاستواء (أى السيف المنسوب إلى سريج الحدّاد).

٣- مخالفة القياس: هى كون الكلمة جارية على خلاف قانون أهل اللغة، مثل عدم الإدغام فى محلّه، كما فى قول الشاعر: الحمد لله العلىّ الأجلل، والقياس أن يقال: الأجلّ بالإدغام.

٤- تنافر الكلمات: هو وصف فيها يوجب ثقلها على اللسان كما فى قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

وفى قول الشاعر:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى   وإذا ما لمتُه لمتُه وحدى

٥- ضعف التأليف: هو كون الكلام غير جار على القانون النحوى المشهور، كما فى قولك: ضرب غلامه زيدًا، فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظًا ورتبةً قبيح عند الجمهور.

٦- التعقيد اللفظى: هو أن يكون فى نظم الكلام خلل يعسر لأجله فهم معناه كما فى قول الشاعر:

وما مثله فى الناس إلا مملّكًا   أبو أمّه حىّ أبوه يقاربه

وأصل الكلام هكذا: وما مثله فى الناس حىّ يقاربه إلا مملكًا أبو أمه أبوه.

٧- التعقيد المعنوى: هو عدم ظهور المعنى لخلل فى انتقال الذهن عن

المعنى المفهوم إلى المعنى الذى قصده المتكلم، كما فى قول الشاعر:

سأطلب بُعدَ الدار عنكم لِتقرَبوا   وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

لأن الشاعر كنى بجمود العين عن السرور الذى يوجبه دوام اللقاء، فأخطأ؛ لأن جمود العين عبارة عن خلوها عن البكاء فى وقت الحزن وإرادة البكاء، فلا يكون كناية عن السرور، بل كناية عن انتهاء دموعها من كثرة البكاء عند شدّة الألم.

فالفصاحة تقع صفة للكلمة، والكلام، والمتكلم فإذًا: الكلمة الفصيحة: هى التى كانت مأنوسة الاستعمال ظاهرةَ المعنى غيرَ متنافر الحروف، وكانت موافقةً للقياس اللغوى.

والكلام الفصيح: هو ما كان سالمًا عن تنافر الكلمات وضعف التركيب والتعقيد بقسميه.

والمتكلم الفصيح: هو الذى كان له ملكة (قدرة) على إيجاد كلام فصيح.

التمرين

١ - عرّف الفصاحةَ لغةً واصطلاحًا.

٢ - اذكر تعريف المتكلم الفصيح والكلام الفصيح.

٣- عرّف التنافر والغرابة، ومثّل لهما.

٤ - لما ذا استشهد بقول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر　　وليس قرب قبر حرب قبر

٥- ما هى مخالفة القياس؟ اكتب لها استشهاداً.

٦- مثّل لتنافر الكلمات وضعف التأليف.

٧- ما هو المراد من التعقيد اللفظى والمعنوى؟ اذكر لهما استشهاداً، وأظهر التعقيد فيه.

٨- لخّص ما درستَ حول الفصاحة.

مفهوم البلاغة وأقسامها

١- البلاغة فى اللغة: الوصول والانتهاء، كما فى قوله تعالى: ﴿إن الله بالغ أمره﴾ أى موصل أمره وحكمه إلى حيث يشاء، ويقال: بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، ويقال: بَلَغَ الركبُ المدينة، إذا انتهت إليها، ومَبلَغُ الشىء منتهاه كما فى قوله تعالى: ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أى نهاية علمهم ذلك، وهو العلم بالأمور الدنيوية.

٢- وفى الاصطلاح: هى تأدية المعنى الجليل بعبارةٍ فصيحةٍ واضحةٍ جذّابةٍ إلى المخاطب مع ملائمة الموطن، ورعاية حال المخاطب، أو هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

٣- الكلام البليغ: هو ما كان فصيحًا ومطابقًا لمقتضى الحال، وبزيادة البلاغة يبلغ حُسنُ الكلام حدّ الإعجاز، والمراد بحدّ الإعجاز أن يخرج الكلام عن طوق البشر حتى لا يمكن معارضته، وجعلوا للبلاغة طرفين:

(١) أعلى: وهو حدّ الإعجاز، وما يقرب منه وهو الطرف العالى.

(٢) وأسفل: مما يقرب منه، والمراد بالأسفل حدّ إذا غيّر الكلام عنه إلى ما دونه التحق بأصوات الحيوانات.

المثال التطبيقى لقولهم: "هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال" قولك: "إن زيدًا قائم" أمام مخاطب يتردّد فى قيام زيد، فالتردّد حال، والتأكيد بـ"إنّ" مُقتضَى الحال، وكون الكلام مشتملا على التأكيد مطابقته لمقتضى الحال، وقد يسمّى مقتضى الحال "الاعتبار المناسب" كما أن الحال قد تسمّى مقامًا، وكذلك إذا خاطبت ذكيّا بكلام موجز، يكون ذكاءه حالا، والكلام الموجز

مقتضى الحال، واشتمال الكلام على الإيجاز هو مطابقته لمقتضى الحال.

٤ - **المتكلم البليغ**: هو من له قدرة على إنشاء كلام بليغ، فمن يحكى كلام البلغاء أو يقتبس من كلامهم، فليس ببليغ؛ لعدم القدرة على التأليف من عنده.

وأمّا **الكلمة** فلا تكون بليغة؛ لأنها لا توصل إلى المخاطب شيئًا يقنع به، والإيصال هو المعتبر فى مفهوم البلاغة، ولأنه لم يُسمع اتصاف الكلمة بالبلاغة، فصار البليغ قسمين: متكلم بليغ وكلام بليغ.

وقد دُوّن لفهم مطابقة الكلام لمقتضى الحال عِلم المعانى، وللتحرز عن التعقيد المعنوى علم البيان، ولمعرفة محسّنات زائدة عما يقتضيه الحال علم البديع.

عناصر البلاغة السبعة

وإنما يعرف التنافر بالذوق السليم، وتعرف مخالفة القياس بعلم التصريف، وضعف التأليف والتعقيد اللفظى يعرفان بـ "علم النحو"، والغرابة تعرف بكثرة تتبع كتب اللغة المتداولة، والإحاطة بمعانى المفردات اللغوية، ويعرف التعقيد المعنوى بعلم البيان، ويُعرَفُ الأحوال ومقتضياتها بعلم المعانى، والمحسّنات الزائدة على البلاغة بعلم البديع، فإذًا يحتاج البليغ إلى سبعة أمور: (١) الذوق السليم (٢) وعلم التصريف (٣) وعلم النحو (٤) وعلم اللغة (٥) وعلم المعانى (٦) وعلم البيان (٧) وعلم البديع.

تعريف علم البلاغة: هو علم بقواعد أدبية يُعرف بها كون الكلام فصيحَ الكلمات، مطابقًا للمقتضيات، مشتملا على المحسّنات.

موضوعه: هو الكلام العربى من حيث كونه فصيح المآل، مطابقًا

لمقتضى الحال، متحلّيا بما يورث الجمال.

غايته: كما قال ابن خلدون فى "مقدمته": هى فهم إعجاز القرآن الكريم؛ لأن إعجازه فى كمال دلالته على جميع مقتضيات الأحوال منطوقا ومفهومًا، وهى أعلى مراتب الكلام.

التمرين

١ - عرّف البلاغة لغةً واصطلاحًا.

٢ - اذكر تعريف الكلام البليغ مع بيان طرفى البلاغة.

٣ - ما هو المراد من حدّ الإعجاز وما هو الطرف الأسفل للبلاغة؟

٤ - اذكر مثالا تطبيقيًا لمطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٥ - ما هو الفرق بين الاعتبار المناسب ومقتضى الحال؟ وكذلك بين الحال والمقام أىّ فرق؟

٦ - من هو المتكلم البليغ؟

٧ - ما هى فائدة تدوين العلوم الثلاثة (المعانى والبيان والبديع)؟

٨ - إلى كم أشياء يحتاج البليغ؟

٩ - بيّن تعريف علم البلاغة وموضوعه وغايته.

علم المعانى

تعريف علم المعانى: هو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربى الّتى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال، والمراد بأحوال اللفظ الأمور العارضة له من التقديم والتأخير والحذف والإثبات والتعريف والتنكير وغيرها.

وبقوله: "الّتى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال" احترز عن أحوال لا تتعلق بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، مثل الإعلال والإدغام والرفع والنصب وغيرها مما يتوقف عليه تأدية أصل المعنى لا مطابقته لمقتضى الحال.

موضوعه: هو الكلام الصّادر عمّن له ملكة (صفة راسخة) على التعبير بكلام بليغ أى مطابق لمقتضى الحال.

غايته: ١- هى معرفة إعجاز القرآن الكريم، وإحكام الإيمان به وبالنبى الأمّى ﷺ الذى جاء به.

٢- والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة فى منثور كلام العرب ومنظومه.

وينحصر مباحث علم المعانى فى ثمانية أبواب؛ لأن الكلام إمّا خبر وإما إنشاء، والخبر لابد له من أجزاء ثلاثة: الإسناد، والمسند إليه، والمسند.

ثم إذا كان المسند فعلا أو ما فى معناه، فلا بد له من متعلّق، وذلك التعلق إمّا يكون بقصر أو غير قصر، وأيضًا كلُّ جملة مذكورة عقب أخرى إمّا معطوفة أو غير معطوفة، والكلام إمّا مساوٍ لأصل المراد أو زائد عنه أو ناقص، فبيان أحوال الإسناد والمسند إليه والمسند أبواب ثلاثة، وبيان متعلّق الفعل، أو معناه باب رابع، وبيان القصر وعدمه باب خامس، وبيان الإنشاء

باب سادس، وبيان العطف وتركه باب سابع، وبيان الإيجاز والإطناب والمساواة باب ثامن.

باب الإسناد الخبرى

مفهوم الإسناد: هو نسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى بحيث تفيد السامع فائدةً تامّة خبريةً كانت تلك النسبة أو إنشائية - نحو ضُربَ زيد، ولا تأكل وحده.

الإسناد الخبرى: هو ضمّ كلمة أو ما يجرى مجراها إلى أخرى بحيث يفيد المخاطب أن مفهوم إحداهما ثابت للأخرى أو منفى عنها نحو جاء الأستاذ، ولم يحضر الطالب، زيد قائم وعمرو ليس بقائم.

صدق الخبر مطابقته للواقع، وكذبه عدم مطابقته له، فإذا طابقت الوجودات الثلاثة (الخارجى والعقلى واللفظى)، فالخبر صادق وإلا كاذب.

الحقيقة العقلية والمجاز العقلى

الحقيقة العقلية: هى إسناد الفعل أو معناه (كاسم الفاعل واسم المفعول والصّفة المشبّهة والمصدر وغيرها) إلى ما هو له فى الظاهر عند المتكلم، كقول المؤمن: أنبت الله البقل، والله خالق كلّ شىء، فإسناد الإنبات فى الفعل، وإسناد الخلق فى معنى الفعل (اسم الفاعل) عند المؤمن إلى ما هو له وهو الله تعالى، وكذلك أنبت الربيع البقل حقيقةٌ عقليةٌ عند المعتزلى الذى يعتقد صدور فعل الإنبات عن غير الله (والعياذ بالله).

المجاز العقلى: هو إسناد الفعل أو معناه إلى ما يتعلق بهما بنوع من التأويل بأنه زمان الفعل، أو معناه، أو مكانه، أو سببه، أو غير ذلك من متعلّقات الفعل وشبهه.

أمثلة المجاز العقلى

١- نحو نهاره صائم، فإن اسم الفاعل "صائم" بنى للفاعل، أى يكون إسناده إلى الإنسان، ولكن أسند إلى زمان الفعل وهو النهار.

٢- ونحو نهر جارٍ، فإن الجارى هو الماء أى يكون الفاعل الحقيقى هو الماء، ولكن أسند الجرى إلى مكان الفعل وهو النهر.

٣- وأنبت الربيع البقل عند المؤمن، فإن موسم الربيع سبب للإنبات، فأسند الفعل إلى سببه، ففى تلك الأمثلة الثلاثة أسند الفعل وشبهه إلى ما هو ليس بفاعل لهما، ولكن بعضه زمان الفعل أو شبهه، وبعضه مكانهما وبعضه سبب لهما.

شرط المجاز العقلى: وشرطه أمران: ١- إمكان الحقيقة العقلية، ثم تلك الحقيقة قد تكون ظاهرةً، كما فى قوله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ أى فما ربحوا فى تجارتهم، وقد تكون خفيّةً لا تظهر إلا بعد نظر وتأمل، كما فى قولك: سرّتنى رؤيتك، أى سرّنى الله عند رؤيتك، وكقول الشاعر:

يزيدك وجهه حسنًا إذا ما زدته نظرًا

٢- والأمر الثانى وجود قرينة مانعة عن إرادة الإسناد الحقيقى، ثم تلك القرينة (١) إمّا لفظية، كما فى قول الشاعر:

أفناه قيل الله للشمس اطلعى

فإن إسناد الإفناء إلى أمر الله قرينة على أن إسناد ميّز إلى جذب الليالى

فى البيت السّابق[١] مجاز عقلى.

(٢) وإمّا معنوية، كاستحالة صدور المسند عن المسند إليه كما فى نهاره صائم، ونهر جار، فإن صدور الصوم عن النهار، وصدور الجريان عن النهر غير ممكن.

وكذلك استحالة قيام المسند بالمسند إليه عادة، كقولهم: هزَمَ الأميرُ الجند لاستحالة قيام الهزم بالأمير وحده عادة، وإن أمكن عقلا.

وجه التسمية بالحقيقة العقلية والمجاز العقلى: وسمّى الإسناد فى هذين النوعين من الكلام عقليًا؛ لاستناده إلى العقل، دون الوضع؛ لأن إسناد الكلمة شىءٌ يحصل بقصد المتكلم، دون قصد واضع اللغة، فلا يصير زيد فى "ضرب زيد" فاعلا بقصد واضع اللغة، بل بقصد من يُسند الضرب إلى زيد وهو المتكلم.

الأقسام الأربعة للمجاز العقلى باعتبار طرفيه

وله باعتبار طرفيه أربعة أقسام: (١) حقيقتان لغويتان: نحو أنبت الربيع البقل، فإن الإنبات (الطرف الأول) والربيع (الطرف الثانى) أريد بهما المعنى الحقيقى.

(٢) مجازان لغويان: نحو أحيى الأرض شباب الزمان، فالإحياء والشباب فيهما مجاز؛ لأن الأرض لا يكون لها الحياة، والزمان لا يكون له شباب.

(٣) الطرف الأول حقيقة، والطرف الثانى مجاز، نحو أنبت البقل

---

(١) فى قول أبى النجم: ميّز عنه متزعًا عن منزع جذب الليالى ابطئى أو اسرعى

شباب الزمان، فالإنبات (المسند) استعمل فى معناه الحقيقى، والشباب (المسند إليه) استعمل فى معناه المجازى.

(٤) عكس الثالث: وهو أن يكون الأول مجازا، والثانى حقيقة، نحو أحيى الأرض الربيع، فإن المسند (أحيى الأرض) أريد منه معناه المجازى، وهو جعلها خضراء والمسند إليه (الربيع) أريد منه المعنى الحقيقى.

التمرين

١ - المطلوب بيان تعريف علم المعانى وموضوعه وغايته.

٢- اذكر الأبواب الثمانية إجمالا.

٣- عرّف الإسناد المطلق والإسناد الخبرى.

٤ - عرّف الحقيقة العقلية والمجاز العقلى مع ذكر الأمثلة.

٥ - اذكر شروط المجاز العقلى مع التوضيح بالأمثلة.

٦ - ما هو وجه التسمية بالحقيقة العقلية والمجاز العقلى؟

٧- اكتب الأقسام الأربعة للمجاز العقلى مع الأمثلة.

مقصود المخبر بخبره

ومقصود المخبر بخبره لا يخلو عن أمرين: ١- إفادة المخاطَب نفس الحكم، كقولك: "زيد قائم" أمام من لا يعلم أنه قائم، ويسمّى هذا فائدة الخبر.

٢- أو إظهار المخبر أمام المخاطب بأنه عالم بهذا الحكم أيضًا، كقولك لمن يعلم قدوم الأمير: "قدِمَ الأميرُ" ويسمّى هذا لازم فائدة الخبر؛ لأن المتكلم الذى يفيد الحكم للمخاطب لازم عليه أن يعلمه أولا.

أنواع الخبر باعتبار أحوال المخاطب

١- فإن كان المخاطب خالى الذهن عن الحكم وإسناد أحد طرفى الخبر إلى الآخر لا يؤكد الخبر، أى لا يذكر من مؤكدات الخبر شىء، كقولك: جاء زيد، وعمرو ذاهب.

٢- وإن كان متردّدًا فى الحكم طالبًا له يؤكد الخبر استحسانًا، كقولك: "لزيد عالم، أو إن زيدًا عالم" عند من يتردّد فى كون زيد عالمًا.

٣- وإن كان منكرًا عن الحكم وجب توكيد الخبر، كقولك: "إنّى لصادق" لمن ينكر صدقك أشدّ الإنكار، وكما فى قوله تعالى: ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾، وأمّا فى نفس الإنكار فيكفى (إنى صادق) كما فى قوله تعالى: ﴿فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾، ويسمّى القسم الأول من الخبر ابتدائيًا، والثانى طلبيًا، والثالث إنكاريًا.

وقد يجعل المنكر كغيره (أى لا يؤكد الخبر) إذا كان معه فى الخبر من الدليل ما إذا تأمّله يرتدع عن إنكاره، كما فى قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ لم يؤكّد نفى الريب عن الكتاب (القرآن الحكيم) لأن مع المنكرين دلائل (من هذا الكتاب) لو تأمّلوها لارتدعوا عن ارتيابهم، وقد يُعكس، أى يجعل غيرَ المنكر كالمنكر (يعنى يؤكّد الخبر) إذا ظهر عليه أمارات الإنكار، كقولك لمن يترك الصّلاة من غير عذر، بل عمداً: إن الصّلاة واجبة، وكقول الشاعر:

جاء شقيق عارضًا رمحه إنّ بنى عمّك فيهم رماحُ

ما كان شقيق منكرًا عن رماح بنى عمّه، ولكن حاله تدل على إنكاره، فقيل: إنّ بنى عمّك فيهم رماحٌ.

باب المسند إليه

١- أمّا حذف المسند إليه فلوجوه سبعة: (١) لظهوره والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر، ودلالة القرينة على حذفه، كما فى قوله تعالى: ﴿فصكّت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾ أى أنا عجوز عقيم.

(٢) ولامتحان تنبّه السّامع للمحذوف، هل يعلم المحذوف عند القرينة أم لا؟ كقولك: جاء (بحذف المسند إليه وهو الفاعل) أى زيد، عند اختبار السّامع.

(٣) أو امتحان قدر تنبّهه، هل يتنبّه بالقرينة الخفية على المحذوف؟ كقول الواعظ عند وعظه: أليمٌ شديدٌ دائمٌ، أى عذاب النار.

(٤) وصونِ اللسان عنه تحقيرًا له، كقولك: لعينٌ رجيمٌ، أى الشيطان.

(٥) أو صونه عن اللسان تعظيمًا له، كقولك: خاتم الأنبياء وإمام الرسل، أي محمد ﷺ.

(٦) أو تيسيرًا للإنكار عند الحاجة، كقولك: فاسق فاجر، أي فلان، لا تذكره حتى يمكنك الإنكار عند الحاجة.

(٧) أو لتعيّنه، أي لا يصلح أن يكون مسندًا إليه إلا هو، نحو قولك: ﴿فعّال لما يريد﴾، وخالق لما يشاء، أي الله تعالى.

٢- ذكر المسند إليه

أمّا ذكر المسند إليه فلما يأتي: (١) إمّا لأن ذكره أصل، ولا مقتضى للعدول عنه (٢) وإمّا لضعف القرينة الدالة على الحذف (٣) وإمّا للتعريض بغباوة السّامع، حيث لا يذهب ذهنه إلى المحذوف عند القرينة أيضًا (٤) وإمّا لإظهار رفعته وتعظيمه، نحو أمير المؤمنين حاضر (٥) وإمّا لإهانته وحقارته، نحو السارق اللئيم حاضر.

(٦) وإمّا للتبرك بذكره، نحو محمد ﷺ قال كذلك (٧) وإمّا للاستلذاذ بذكره، نحو الحبيب فى بيتى (٨) وإمّا للإيضاح والتقرير، نحو قوله تعالى: ﴿أولائك على هدى من ربّهم وأولائك هم المفلحون﴾ فذُكر "أولائك" مرّة ثانية فى جانب المعطوف للإيضاح بأن المستحقين للفلاح هم الموصوفون بالصّفات السّابقة.

٣- تعريف المسند إليه

١ - أمّا تعريفه بالإضمار فلكون المقام إمّا مقام التكلّم، أو الخطاب، أو

الغيبة، نحو قوله عليه السلام: «أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب»، وقوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله﴾، وقوله تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

٢ أمّا تعريفه بالعلمية فلوجوه: (١) لإحضار المسند إليه فى ذهن السامع ابتداء باسم خاص به، كما فى قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾، وقول الشاعر:

الله يعلم ما تركتُ قتالهم حتى علوا فرسى بأشقر مزبد[٢]

(٢) أو للكناية على معنى يصلح للإهانة، نحو أبو لهب فعل كذا، أى جهنمى، (والكنية داخلة فى اسم العلم).

(٣) أو لتعظيمه، نحو جاء الحق وزهق الباطل.

(٤) أو للتفاؤل، نحو سعيد فى دارك.

(٥) أو للاستلذاذ به، نحو قول الشاعر:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكنّ أم ليلى من البشر

فقال الشاعر: أم ليلى، ولم يقل: أم هى من البشر.

(٦) أو للتبرّك به، نحو الله هو الهادى، ومحمد ﷺ هو الشفيع.

٣- أمّا تعريفه بالموصولية فلما يأتى: (١) لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة بالمسند إليه سوى الصّلة، كقولك: "الذى كان معنا أمس رجل عالم" (٢) أو لاستهجان التصريح باسمه، مخافة سوء الأدب، كقولك: الّذى ربّانى هو أبى، والّذى علّمنى هو أستاذى.

(٣) أو لزيادة تقرير الغرض الذى سيق لأجله الكلام، كما فى قوله تعالى: ﴿وراودته الّتى هو فى بيتها عن نفسه﴾، فإنه مسوق لنزهة

---

(٢) أى بدم له زبد.

يوسف عليه السلام عن الفحشاء، والمذكور "الّتى هو فى بيتها" أدلّ عليه من قول القائل: وراودته امرأة العزيز عن نفسه.

(٤) أو للتفخيم، كما فى قوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليمّ ما غشيهم﴾.

(٥) أو للإشارة إلى نوع بناء الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين﴾ فإن سبب دخولهم فى جهنم هو استكبارهم عن عبادة الله تعالى، فيفهم من الصلة (يستكبرون) أن الخبر الآتى من قسم العقاب.

(٦) أو الإشارة إلى حال المسند إليه، نحو قولك: الذى جاء راكبًا هو الأمير.

(٧) أو للتنبيه على الخطأ نحو قول الشاعر:

إن الذين ترونهم إخوانكم يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا[٣]

أى الذين تظنّونهم إخوانكم يحبّون هلاككم، فظنّكم خطأ.

(٨) أو للتنبيه على الصّواب، نحو: الّذى قاله النبى ﷺ هو الحق.

٤- **أما تعريفه باسم الإشارة:** (١) فإمّا لتميزه أكمل تمييز بإحضاره فى ذهن السّامع بوساطة الإشارة الحسّية، كقول الشاعر:

هذا أبو الصّقر فردًا فى محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسّلم

(٢) وإما للتعريض بغباوة السّامع، كقول الشاعر:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جَمَعَتنا يا جرير المجامعُ

(٣) وإمّا لبيان حاله قربًا وبعدًا، كقولك: هذا زيد (فى القريب) وذلك عمرو (فى البعيد) وذاك بشر (فى المتوسط).

(٤) وإمّا لتحقيره بالإشارة القريبة، نحو قوله تعالى: ﴿وما هذه الحياة

---

(٣) أى تهلكوا وتسقطوا على الأرض.

الدنيا إلا لهو ولعب﴾ وقوله تعالى: ﴿أهذا الّذى يذكر آلهتكم﴾.

(٥) وإمّا لتعظيم المسند إليه بالإشارة البعيدة، نحو قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾.

(٦) وإمّا لتحقيره بالبعد، نحو قولك: ذلك اللعين فعل كذا.

التمرين

١- ما هو مقصود المخبر بخبره؟

٢- كم نوعًا للخبر باعتبار أحوال المخاطب؟

٣- متى يجعل المنكر كغير المنكر؟ ومتى يجعل غير المنكر كالمنكر؟

٤- اذكر الوجوه التى لأجلها يحذف المسند إليه.

٥- اذكر أربعةً من وجوه ذكر المسند إليه.

٦- لما ذا استشهد بقوله تعالى: ﴿أولائك على هدى من ربّهم وأولائك هم المفلحون﴾.

٧- لما ذا يؤتى المسند إليه باسم الموصول؟ وكم وجهًا له؟

٨- ما هى أسباب إيراد المسند إليه باسم الإشارة؟

٥- **أمّا تعريف المسند إليه باللام** (١) فإمّا للإشارة إلى معهود خارجي يعرفه المخاطب، كما إذا قال قائل: جاءني رجل من قبيلة كذا، فتقول: وما فعل الرجل؟ وكما فى قوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ أى ليس الذكر المطلوب لأم مريم كالأنثى التى وُهبت لها، ويقال له: لام العهد الخارجي.

(٢) وإمّا لإرادة معهود ذهنى لا يعرفه المخاطب كقولك: أدخل السوق، لسوق غير معهود عند المخاطب، ويقال له: لام العهد الذهنى، ومدخوله فى حكم النكرة.

(٣) وإمّا لإرادة نفس الحقيقة، كقولك: الرجل خير من المرأة، أى جنس الرجل خير من جنس المرأة، وإن كان بعض أفراد المرأة خيرًا من بعض أفراد الرجل، ويقال له: لام الجنس.

(٤) وإمّا لإرادة الاستغراق (إحاطة جميع أفراد الاسم) ويقال لهذا اللام: لام الاستغراق، كما فى قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾، ثم الاستغراق على قسمين: (١) حقيقى: وهو الذى يشمل جميع أفراد مدخول اللام حقيقة، كما فى قوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى عالم كل غيب وكل شهادة.

(٢) وعرفى: وهو الذى يشمل جميع أفراد مدخول اللام عرفًا، لا حقيقةً، كقول القائل: جمع الأمير الصّاغة، فإن الأمير إنما يجمع صاغة بلده، أو أطراف مملكته فحسب، لا جميعَ صاغة العالم.

٦- **أمّا تعريفه بالإضافة:** (١) فللاختصار؛ لأنه ليس عند المتكلم طريق أخصر من الإضافة لإحضار المسند إليه فى ذهن السّامع، كقول الشاعر:

هواى مع الركب اليمانين مصعد[٤]   جنيب وجثمانى بمكة موثق

---

(٤) مصعد: مبْعد، جنيب: أى فى جنبهم.

فإن "هواى" أخصر من قوله: "الذى أهواه".

(٢) أو لأغناء الإضافة عن تفصيل متعذّر، كقول الشاعر:

قــومى هم قــتـلوا أمــيمَ أخى ... فــإذا رمـيتُ يُصِيــبنى ســهــمى

لم يفصّل الشاعر القاتلين بأسماءهم، بل اكتفى بقوله: "قومى".

(٣) أو لتضمّن الإضافة تعظيمًا لشأن المضاف إليه، كقولك: "عبدى حضر" أو تعظيمًا لشأن المضاف، كقولك: "عبد الخليفة ركِبَ".

(٤) أو لتعظيم غير المضاف والمضاف إليه، كقولك: "ابن السّلطان عندى" فإن المتكلم يخبر عن عظمته بوجود ابن السلطان عنده.

(٥) أو لتحقير المضاف، كقولك: "ولد الحجام حاضر"، أو تحقير المضاف إليه، كقولك: "ضارب زيد موجود هنا".

٤- تنكير المسند إليه

وأمّا تنكيره فللوجه القادمة: (١) لإرادة فرد واحد من اسم الجنس، كقوله تعالى: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ أى فرد واحد من أفراد الرجال.

(٢) أو لإرادة نوع من ذلك الاسم، كقوله تعالى: ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾ أى نوع خاص من الأغطية غير ما يتعارفه الناس، وهو غطاء التعامى عن آيات الله تعالى.

(٣) أو التقليل، كما فى قوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ أى شىء قليل من رضوان الله أكبر من كل نعمة، لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح.

(٤) أو لتكثير أفراد المسند إليه، كقول القائل: إنّ له لإبلا وإنّ له لغنما أى له إبل كثير وغنم كثير، وكما فى قوله تعالى: ﴿أإنّ لنا لأجرا إن كنّا نحن الغالبين﴾ أى أجرا كثيرا.

(٥) أو لتعظيم المسند إليه أو لتحقيره، ومثالهما قول الشاعر:

له حاجب عن كل أمر يشنيه　　وليس له عن طالب العرف حاجب

أى له مانع عظيم عن كل ما يعيبه، وليس له مانع حقير عن صنع المعروف مع الناس.

(٦) أو للتعظيم والتكثير، كقوله تعالى: ﴿فقد كُذّبت رسل من قبلك﴾ أى رسل ذوى عدد كثير وآيات عظام.

٥- توصيف المسند إليه

وأمّا جعل شىء وصفا للمسند إليه، فلما يأتى من الوجوه الخمسة:

(١) للكشف عن حقيقة المسند إليه، كما يقال: الجسم الطويل العريض العميق يحتاج إلى فراغ يشغله، وقول الشاعر:

الألمعى الذى يظنّ بك الظنّ　　كأن قد رأى وقد سمعا

(٢) أو للتخصيص -إن كان نكرةً- كقولك: رجل تاجر جاءنى فى السوق.

(٣) أو المدح كقولك: جاءنى الطّالب الذكى، أى خالد.

(٤) أو الذمّ، نحو حارث الأحمق رسب فى الاختبار.

(٥) أو التأكيد، نحو أمس الدابر كان يوما عظيما.

٦- تأكيد المسند إليه

ويؤكد المسند إليه لأحد الأمور الآتية: (١) لتقريره فى ذهن السّامع وتحقيق مدلوله، حتى لا يظنّ الحكم على غيره، نحو جاءنى زيد زيد، وجئت أنا.

(٢) أو لدفع توهم المجاز، أى لا يتوهم السّامع أن المتكلم أراد -فى كلامه- معنى مجازيًا، نحو قدم صديقك نفسه، أو قطع اللصّ الأمير نفسه.

(٣) أو دفع توهم عدم الشمول، نحو جاء القوم كلهم، وكما فى قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلّهم أجمعون﴾.

٧- تعقيب المسند إليه بعطف البيان

ويؤتىٰ بعطف البيان عقب المسند إليه: (١) لإيضاحه نحو قول الأعرابى: "أقسَمَ بالله أبو حفص عمر".

(٢) أو للمدح -فى غير المسند إليه- كما فى قوله تعالى: ﴿جعل الله الكعبةَ البيت الحرامَ قيامًا للناس﴾، فـ"البيت الحرام" عطف بيان للكعبة لغرض مدحها بأنها حرم آمن.

٨- الإبدال من المسند إليه

وأمّا الإبدال منه فلزيادة تقرير النسبة وإيضاحها، نحو جاءنى أخوك

زيد (فى بدل الكل) وجاء القوم أكثرهم (فى بدل البعض)، وسلب عمرو ثوبه (فى بدل الاشتمال).

وأمّا بدل الغلط فغلط لا يقع فى فصيح الكلام ولا يفيد شيئا. ففى البدل تكرير النسبة، لأن النسبة تكون أولا إلى المبدل منه، ثم إلى البدل ثانيًا، كما فى الأمثلة المذكورة، ومن الإبدال فى غير المسند إليه قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾، فـ "صراط الذين" بدل عن "الصراط المستقيم" بدل الكل، مع أنه مفعول به.

٩- العطف على المسند إليه

وأمّا عطف شىء على المسند إليه فلما يأتى من النكات: (١) لتفصيل المسند إليه مع اختصار، نحو جاء زيد ثم عمرو، فأنه أخصر من "جاء زيد ثمّ جاء عمرو" مع تفصيل أن مجىء عمرو بعد مجىء زيد بمهلة.

(٢) أو للردّ إلى الصّواب، كقولك: جاء زيد لا عمرو، ردًا لمن يعتقد أن عمروا جاء فقط، أو جاء كلاهما.

(٣) أو لشكّ المتكلم فى الحكم، نحو جاءنى زيد أو عمرو.

(٤) أو لإيقاع السّامع فى الشك، نحو جاءنى إمّا زيد وإمّا عمرو.

(٥) أو لصرف الحكم عن شىء إلى شىء آخر، نحو جاءنى زيد بل عمرو.

(٦) أو لإبهام الحكم عن السّامع، كما فى قوله تعالى: ﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾.

(٧) أو للإباحة أو التخيير، نحو قولك: ليدخل الدار زيد أو عمرو،

ففى الإباحة جاز دخولهما جميعًا، وفى التخيير جاز دخول أحدهما فقط.

١٠- ذكر ضمير الفصل بعد المسند إليه

ويؤتى بعد المسند إليه بضمير الفصل لأغراض: (١) للتخصيص، أى تخصيص المسند بالمسند إليه، نحو زيد هو القائم، أى القيام مخصوص بزيد، ولا يوجد فى عمرو، وكما فى قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾، وقوله تعالى: ﴿كنتَ أنت الرقيب﴾.

(٢) أو لتأكيد التخصيص، كما فى قوله تعالى: ﴿إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ فإن اسم إنّ "الله"، وخبرها "الرزاق" يفيد التخصيص، وضمير "هو" يفيد تأكيد التخصيص.

(٣) وتمييز الخبر عن الصفة، نحو زيد هو العالم؛ فإن الفصل لا يقع بين الصفة والموصوف.

١١- تقديم المسند إليه

وأمّا تقديم المسند إليه فللأغراض الآتية: (١) لكون تقديمه أصلا (لأنه المحكوم عليه، فلا بد من علمه أولا)، ولا مقتضى للعدول عن هذا الأصل.

(٢) أو لتمكّن الخبر فى ذهن السّامع؛ لأن فى ذكر المبتدأ مقدّمًا تشويقًا إلى الخبر، كقول الشاعر:

والّذى حارت البريّة فيه ... حيوان مستحدث من جماد

(٣) أو للتفريح، أى تعجيل المسرّة، نحو سعيد فى دارك.

(٤) أو لتعجيل المساءة، نحو السفاح فى دار صديقك.

(٥) أو للتبرّك به، نحو فضل الله اهتديت به.

(٦) أو إيهام أنه لا يزول عن الخاطر لكونه مطلوبًا، نحو نصر الله قريب من المجاهدين.

(٧) أو اللاستلذاذ بذكره في أوّل الأمر، أو غير ذلك من التعظيم والتحقير.

(٨) أو للتخصيص نحو شرّ أهرّ ذا ناب، وما أنا قلت.

٢ ١- تأخير المسند إليه

أمّا تأخيره فلاقتضاء المقام إيّاه وتقديم المسند، كما في قوله تعالى: ﴿لله ما في السّموات وما في الأرض﴾، وقوله تعالى: ﴿إن إلينا إيابهم ثمّ إن علينا حسابهم﴾.

وهذا (المذكور) كلّه مقتضى ظاهر الحال، وقد يورد المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر لاعتبارات أخر يقتضيها باطن الحال، مثل الالتفات والتغليب وغيرها.

أمّا الالتفات: فهو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بأحد تلك الطرق: (١) الالتفات من التكلم إلى الخطاب، نحو قوله تعالى: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾، ولم يقل: وإليه أرجع.

(٢) ومن التكلم إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿إنّا أعطيناك الكوثر فصلّ لربّك وانحر﴾ ولم يقل تعالى: فصلّ لنا كما هو مقتضى الظاهر.

(٣) ومن الخطاب إلى التكلم، نحو قول الشاعر:

طحا[٥] بك قلب فى الحسان طروب ... بُعَيدَ الشباب عصر حان مشيب
يكلّفنى ليلى وقد شطّ وليها ... وعادت عوادٍ بيننا وخطوب

وكان مقتضى الظاهر يكلّفكِ بالخطاب لأن الخطاب إلى النفس فى قوله : طحا بك.

(٤) ومن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم﴾ ، وكان مقتضى الظاهر : وجرين بكم.

(٥) ومن الغيبة إلى التكلم قوله تعالى : ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه﴾ ، وكان مقتضى الظاهر فساقه الله.

(٦) ومن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى : ﴿مالك يوم الدين إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ ، وكان مقتضى الظاهر "إيّاه نعبد وإيّاه نستعين".

وأمّا التغليب : فهو تغليب العقلاء على غير العقلاء ، أو عسكه ، مثال الأوّل قوله تعالى : ﴿كلٌّ له قانتون﴾ ومثال الثانى قوله تعالى : ﴿ولله يسجد ما فى السّموات وما فى الأرض﴾ ، ففى الأول استعمل جمع العقلاء "قانتون" عليهم وعلى غيرهم" وفى الثانى استعمل "ما" -وهو موضوع لغير العقلاء- فى العقلاء وغيرهم.

ومن غير الالتفات والتغليب تلقّى المخاطب بغير ما يترقّب (ويسمّى بأسلوب الحكيم) ، كما فى قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلّة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ سألوا عن أسباب اختلاف أشكال الهلال ، وأجيبوا بفائدة الاختلاف.

ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقيق وقوع مدلول

---

(٥) أى ذهب بى قلب طالب للحسان ، ونشيط فى طلبهن فى نهاية الشباب ، وأول عصر المشيب ويكلفنى القلب بوصل ليلى ، وقد بعُد عنى قربها ووصلها ، وعادت الموانع والحوادث بينى وبينها.

الكلام، نحو قوله تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ أى ستأتى القيامة فلا تطلبوها بالعجلة، وقوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ فىْ الصّور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض﴾ يعنى إتيان الساعة أمر قطعى، وفزع الناس يوم القيامة أمر لا شك فيه، كالأمور الواقعة فى الماضى.

التمرين

١- اذكر فائدة تعريف المسند إليه باللام مع أقسام اللام وأمثلتها.

٢- لما ذا استشهد بهاتين الآيتين؟

(١) ﴿إن الإنسان لفى خسر﴾.

(٢) ﴿عالم الغيب والشهادة﴾؟ وما هو الاستغراق العرفى؟

٣- أخرج محلّ الاستشهاد من قول الشاعر:

هواى مع الركب اليمانين مُصعِد ... جنيب وجثمانى بمكة موثق

وكذا من قول الشاعر:

قومى هم قتلوا أمَيم أخى ... فإذا رميتُ يُصيبنى سهمى

٤- وضّح محلّ الاستشهاد فى الآيتين القادمتين: (١) ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ (٢) ﴿وعلى أبصارهم غشاوة﴾.

٥- ما هى فائدة التنكير فى قوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾؟

٦- وما هى فائدة الاستشهاد فى هاتين الآيتين: (١) ﴿إنّ لنَا لأجرًا إن كنّا نحن الغالبين﴾ (٢) فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾؟

٧- اذكر وجوه توصيف المسند إليه الخمسة مع الأمثلة.

٨- ما هى فائدة تأكيد المسند إليه، وتعقيبه بعطف البيان؟

٩ - بيّن أنواع البدل مع بيان فائدته.

١٠ - اكتب الوجوه السبعة للعطف على المسند إليه.

١١ - اذكر ثلاثة من الآيات القرآنية التى كان فيها ذكر ضمير الفصل مع ذكر فائدته.

١٢ - ما هى فوائد تقديم المسند إليه بيّنها بالترتيب؟

١٣ - عيّن محلّ الاستشهاد فى الآيتين: ﴿لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾.

﴿إنّ إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم﴾.

١٤ - بيّن مفهوم الالتفات، واذكر أمثلتها الستة.

١٥ - قدّم مثالين للتغليب من القرآن الكريم.

١٦ - ما هو محلّ الاستشهاد فى هذه الآية: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾؟

باب المسند

١ - أمّا ذكره فلما مرّ -في ذكر المسند إليه- من الوجوه:

(١) مثل زيادة التقرير.

(٢) والتعريض بغباوة السّامع.

(٣) والاستلذاذ بذكره.

(٤) والتعظيم.

(٥) والإهانة.

(٦) وبسط الكلام.

(٧) ولتعيين كونه اسمًا فيستفاد منه الثبوت.

(٨) وكونه فعلا فيستفاد منه التجدد والحدوث.

٢- وأمّا تركه فأيضًا لما مرّ في حذف المسند إليه من (١) تخييل العدول إلى أقوى الدليلين -وهو اللفظ- دون الاكتفاء على القرينة التي هي دليل عقلي.

(٢) ومن اختبار تنبّه السامع عند قيام القرينة.

(٣) ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر، كقول الشاعر:

فإنّي وقيار بها لغريب

والأصل: فإنّي بها (أي بالمدينة) لغريب، وقيار بها لغريب، وقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

٣ - إيراد المسند جملة: أمّا إيراده جملة: (١) فإمّا لإرادة تقوّى الحكم بنفس التركيب، نحو زيد قام، ففى هذا إسنادان: إسناد القيام إلى ضمير زيد، ثم إسناد المجموع إلى زيد، فيكون الحكم قويًا وثابتا.

(٢) وإمّا لكون المسند سببيًا (مشتملا على ضمير عائد إلى المسند إليه) نحو زيد أبوه قائم، فإن هذه الجملة "أبوه قائم" مشتملة على الضمير العائد إلى المسند إليه، وسبب للربط بينهما، وليس الضمير بنفسه مسندًا إليه، بخلاف الضمير فى "زيد قام" فإنه عائد إلى المسند إليه ومسند إليه أيضًا أعنى فاعل لـ "قام".

(٣) وقد يكون المسند جملة فعلية لإفادة التجدد والدلالة على أحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه.

(٤) وقد يكون جملة اسمية لإفادة الدوام والثبوت، مثال التجدد (فى غير المسند) قوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الّذين آمنوا قالوا آمنّا﴾ بصيغة الماضى والجملة الفعلية، ولا يقولون: نحن مؤمنون بالجملة الاسمية، ومثال الثبوت (فى غير المسند) قوله تعالى: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾ بالجملة الاسمية، دون الجملة الفعلية؛ لأن كونهم مؤمنين فى الأول عارضى، وليس أمرًا دائميًا، وأمّا كونهم مع المنافقين فى الثانى فأمر دائم وثابت.

٤ - أفراد المسند: وأمّا كونه مفردًا فلعدم إرادة تقوّى الحكم، وعدم السببية (عدم كونه مشتملا على ضمير عائد إلى المسند إليه).

٥ - تقييده بأحد المتعلّقات: أمّا تقييد الفعل المسند بمفعول أو غيره من المتعلّقات فلزيادة الفائدة وتكثيرها، كقولك: ضربتُ ضربًا شديدًا، وضربتُ زيدا، وضربتُ يوم الجمعة، وضربتُ أمامك، وضربته تأديبًا، وضربت

بالسوط، وجاء زيد راكبًا، وطاب زيد نفسًا، وأمثالها.

٦- **ترك تقييده**: وأمّا ترك تقييده (١) فلما منع من زيادة الفائدة، نحو خوف انقضاء المدّة (لو قيّد بأحد الأزمنة الثلاثة).

(٢) أو إرادة أن لا يطلع الحاضرون على زمان الفعل، أو مكانه، أو محلّ وقوعه (مفعوله) (٣) أو عدم العلم بقيود المسند.

٧- تنكير المسند: وأمّا تنكيره: (١) فلعدم ما يوجب تعريفه، من حصر المسند في المسند إليه، وعدم الإشارة إلى معهود، كقولك: زيد كاتب وعمرو شاعر.

(٢) أو للتنبيه على ارتفاع شأنه، نحو قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ على أن "هدى" خبر لمبتدأ محذوف، أو خبر "ذلك الكتاب".

(٣) أو انحطاط شأن المسند، نحو هو سارق، وما زيد شيئًا، أو مما سبق من التحقير، نحو هو لئيم.

٨- **تعريف** المسند: (١) إمّا لأن المتكلم يعرفه بوجه، ولا يعرفه بوجه آخر، نحو زيد أخوك، فإن المتكلم كان يعرف أخوته للمخاطب، ولا يعرف له صفةً أخرى، فأضافها إليه، وزيد المنطلق، فإنه كان يعرفه بالانطلاق فعرّفه باللام، وإذا كان لا يعرف زيدًا إلا بالأخوة والانطلاق، فيقول: أخوك زيد أو المنطلق زيد.

(٢) وإمّا لإفادة السامع حكمًا على أمر معلوم (المسند إليه) بأمر معلوم مثله وهو المسند المعرفة.

٩- تقديم المسند: أمّا تقديمه: (١) فإمّا لتخصيصه وحصره بالمسند إليه، أي لقصر المسند إليه على المسند، كقوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾، وقولك: قائم هو، لمن يقول: زيد إمّا قائم أو قاعد، وقولهم: تميمي أنا، أي

أنا تميمى لا قيسى.

(٢) وإمّا للتنبيه من أول الأمر على أن المقدّم مسند وخبر لا نعت؛ إذ النعت لا يتقدم على المنعوت، كقوله تعالى: ﴿ولكم فى الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾، وقول الشاعر فى مدح النبى ﷺ:

له همم لا منتــهى لكبــارها   وهمّته الصغرى أجلّ من الدهر

(٣) وإمّا للتفاؤل نحو قول الشاعر:

سَعِدت بغــرّة وجــهك الأيّام   وتزيّنت ببــقــاءك الأعــوام

(٤) وإمّا للتشويق إلى ذكر المسند إليه، كقول الشاعر:

ثلاثة تُشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

فالموصوف (ثلاثة) مع صفته (تشرق) مسند ومقدّم، و"شمس الضحى" إلى آخره مسند إليه ومؤخر.

١٠- تأخير المسند: وأمّا تأخيره فلاقتضاء المقام تقديم المسند إليه وتأخير المسند، مثل تمكّن الخبر فى ذهن السامع، وتعجيل المسرّة أو المساءة أو التبرك، وغيرها مما مرّ فى تقديم المسند إليه.

التمرين

١ - اذكر وجوه ذكر المسند السبعة.

٢ - ما هو محلّ الاستشهاد فی قول الشاعر :

فإنّی وقيّار بها لغريب

وفی قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والرأی مختلف

٣- ما هی فائدة إيراد المسند جملةً؟ اذكرها بالمثال.

٤ - لما ذا قد يؤتی المسند جملة فعليةً، وقد يُؤتیٰ جملةً اسميةً؟

٥- اذكر مثالا للتجدد، ومثالا للثبوت من القرآن الكريم.

٦- ما هی الفائدة فی تقييد المسند بالمتعلّقات؟ اذكر لها مثالا كما درستَ.

٧- لما ذا يؤتی بالمسند معرفةً؟ وما هو السبب له؟

٨- عيّن محلّ الاستشهاد فی قوله تعالی : ﴿لكم دينكم ولی دينِ﴾.

باب متعلّقات الفعل

تمهيد:

(١) والمراد بـ متعلقات الفعل المفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز، المستثنى، والظرف وغيرها.

(٢) واعلم أن تعلق الفعل المتعدى بالمفعول كتعلّقه بالفاعل، فى أنه لا تتمّ الفائدة إلا بذكر المفعول.

(٣) فكما أنك إذا أسندتَ الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد صدوره عنه، لا أن تريد وجود الفعل فى نفسه، (وإلا فلا حاجة إلى ذكر الفاعل) كذلك إذا عدّيتَه إلى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه، فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليظهر تعلّقه بهما، فيعمل فى الفاعل الرفع، لصدوره وحدوثه عنه، ويعمل فى المفعول النصبَ لوقوعه عليه.

(٤) أمّا إذا أريد الإخبار بوجود الفعل فى نفسه (من غير لحاظ صدوره عن الفاعل أو وقوعه على المفعول)، فالعبارة المناسبة له أن يقال: وجد ضرب، أو وقع ضرب، فلا حاجة إلى ذكر الفاعل أو المفعول.

(٥) وإذا أسند الفعل المتعدّى إلى فاعله ولم يُذكر له مفعول، بل كان الغرض إثباته لفاعله أو نفيه عنه، من غير لحاظ تعلّقه بشىء آخر، نزّل ذلك الفعل منزلة اللازم (الفعل اللازم)، فلا يذكر له مفعول، لئلا يتوهم السّامع أن الغرض هو الإخبار به باعتبار تعلّقه بالمفعول، ولا يعتبر له مفعول مقدّر أيضا؛ لأن المقدّر كالمذكور.

وأمّا ذكر المفعول فإنما يكون لإفادة تعلّقه به، أي تعلّق الفعل بذلك المفعول، لا وجود الفعل وصدوره في نفسه، وإلا فلا حاجة إلى ذكر المفعول.

أقسام الفعل المنزّل منزلة اللازم

ثم هذا الفعل على ضربين: الأول: أن يجعل الفعل مطلقًا -من غير اعتبار عمومه وخصوصه- كنايةً عن ذلك الفعل حال كونه متعلّقًا بمفعول مخصوص دلت القرينة عليه.

والثاني: أن لا يجعل كناية عنه، مثال الأول: قول الشاعر في مدح الخليفة المعتزّ بالله:

شجو حُسّاده وغيظ عداه ... أن يرى مبصر ويسمع واع

فالمعنى المراد أن رؤية آثاره ومحاسنه، وسماع أخباره الدالة على محامده سبب لحزن حسّاده، وغيظ أعداءه، ولكنّ الشاعر أغفل عن ذكر المفعولين (آثاره وأخباره) ليمكن له أن يقول: إن محاسن الممدوح قد ذاع صيتها، واشتهر أمرها، حتى صارت ظاهرةً لكل ذي بصر وذي سمع، فلم تبقَ الحاجة إلى ذكرها، فلا يجد حسّاده وأعداءه الذين يتمنّون الإمامة سبيلا إلى منازعته في الإمامة، فنزّل "يرى" و"يسمع" بمنزلة اللازم، ولم يذكر لهما مفعولا، وهما كنايتان عن رؤية آثاره وسماع أخباره.

ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿هل يستوي الّذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أي لا يستوي الّذين يوجد منهم العلم والذين لا يوجد منهم العلم، بأيّ شيء كان ذلك العلم، فلم يجعل العلم هنا كنايةً عن علم متعلق بشيء مخصوص دلت القرينة عليه.

أغراض حذف المفعول

وإذا كان الغرض (من عدم ذكر المفعول) إفادة تعلّقه بمفعول خاصّ غير مذكور وجب تقدير ذلك المفعول بحسب القرائن الدالّة عليه، ولكن وجب حذفه من اللفظ لما يأتي:

(١) أمّا للبيان بعد الإبهام، كما فى فعل "المشيئة" إذا لم يكن فى تعلّقه بمفعوله غرابة، كقولك: "لو شئت جئت أو لم أجئ" أى لو شئت المجىء أو عدم المجىء، فإنك متى قلت: "لو شئتُ" علم السّامع أنك علّقت المشيئة بشىء، فيقع فى نفسه أن هناك شيئًا تعلّق به مشيئتك، فإذا قلتَ: "جئت أو لم أجئ" عرف ذلك الشىء، فيكون لفظ "جئتُ" قرينة على المفعول المحذوف.

ومنه قوله تعالى: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ وقوله تعالى: ﴿من يشإ الله يضلله﴾، فإن لفظ "لهداكم" فى الأول، ولفظ "يضلله" فى الثانية قرينة على أن المفعول المحذوف من قسم الهداية والضلالة.

وأمّا إذا كان فى تعلّق الفعل بمفعوله غرابة فلا يحذف المفعول من اللفظ، بل يذكر، كما فى قول الشاعر:

ولو شئتُ أن أبكى دمًا لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فإن تعلّق المشيئة ببكاء الدم غريب، فذكر الشاعر المفعول وهو "أن أبكى دمًا".

(٢) وإمّا لدفع توهم السّامع فى أول الأمر إرادة شىء غير المراد، كقول الشاعر:

كم ذدت عني من تحامل حادث وسورة أيام حــزن إلى العظم

أي كم من ظلم حادث دفعته عنّي، وكم من شدة الأيام التي قطعن اللحم ووصلن إلى العظم دفعتها عنّي.

فحُذف مفعول "حزن" وهو "اللحم" لئلا يتوهم السّامع قبل ذكر "إلى العظم" أن الحزّ (القطع) وقع في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم.

(٣) وإمّا لأنه أريد ذكر المفعول ثانيا على وجه يتضمّن وقوع الفعل على صريح لفظه، إظهارا لكمال العناية بوقوع الفعل عليه، كقول الشاعر:

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ دد والمجد والمكارم مثلا

أي قد طلبنا لك مثلا، فحُذف المفعول (لك مثلا) من اللفظ، إذ لو ذكر لكان المناسب "فلم نجده" بالضمير الراجع إلى المثل، وفيه تفويت للغرض، وهو وقوع نفي الوجود على صريح لفظ "مثلا" لكمال العناية بعدم وجدان المثل له.

(٤) وإمّا لقصد تعميم المفعول مع الاختصار، كما تقول: "قد كان (وقع) منك ما يؤلم" يعني كل أحد أو كلّ إنسان، ولا يُذكر المفعول بصيغة العموم لأنه يفوت الاختصار، وعليه ورَد قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السّلام﴾ أي يدعو كل أحد.

(٥) وإمّا لرعاية الفاصلة، كما في قوله تعالى: ﴿والضحى والليل إذا سجىٰ ودّعك ربك وما قلى﴾ أي وما قلاك، فحذف المفعول للرعاية على الفاصلة.

(٦) وإمّا لقباحة واستهجان ذكر المفعول، كما في قول عائشة رضي الله عنها: "ما رأيت منه ﷺ ولا رأى مني" تعني عائشة رضي الله عنها العورة، أي ما رأيت عورة النبي ﷺ وما رأى عورتي.

(٧) وإمّا لمجرد الاختصار، كما في قوله تعالى: ﴿رب أرني (أي

ذاتك) أنظر إليك﴾ وقوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون﴾ أى تعلمون أنه لا ندّ له.

تقديم المفعول: وهو (١) إمّا لردّ الخطأ فى التعيين، كقولك: "زيدًا عرفتُ" أمام من اعتقد أنك عرفتَ إنسانا، وأنه غير زيد، وتقول فى تأكيد هذا الردّ: "لا غيره" أى زيدا عرفتُ لا غيره، ويقال لهذا قصر القلب كما سيأتى.

(٢) أو لردّ الخطأ فى الاشتراك، كنفس هذا المثال "زيدًا عرفتُ" أمام من يعتقد أنك عرفت زيدًا وعمرًوا، ويقال فى تأكيده: "زيدًا وحده عرفتُ"، ويسمّى هذا الرد قصر الإفراد.

(٣) أو للتخصيص، كما فى قولك: بزيد مررتُ (بتقديم الجار والمجرور)، فإنه يدل على أن مخاطبك كان يعتقد مرورك بغير زيد، فأزلت عنه الخطأ بتقديم الجار والمجرور، وخصّصت مرورك بزيد.

وكما فى قوله تعالى: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾، وقوله تعالى: ﴿إن كنتم إيّاه تعبدون﴾، وقوله تعالى: ﴿وإيّاى فارهبون﴾.

تقديم بعض معمولات الفعل على بعضٍ

وهو: (١) إمّا لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول فى نحو ضرب زيد عمروا، وتقديم المفعول الأول على الثانى فيما يقتضى المفعولين فصاعدًا، نحو أعطيت زيدًا درهمًا.

(٢) وإمّا لأن ذكر البعض (المقدّم) أهم، والعناية به أتمّ، كما تقول: قَتَلَ اللصَّ زيد "بتقديم المفعول للاهتمام به"، وكما فى قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا

أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيَاهم﴾ بتقديم "كم" لأن المخاطب بها الفقراء، فقُدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق الأولاد، وفي قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإيّاكم﴾ بتقديم الأولاد ضمير "هم" لأن المخاطب بها الأغنياء بدليل "خشية إملاق".

(٣) وإمّا لأن في التأخير إخلالا بالمعنى، كما في قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ بتقديم "من آل فرعون" على "يكتم إيمانه" لأن في التأخير إخلالا بالمعنى، لتوهم أن كتم إيمانه من آل فرعون، والمقصود هو كون الرجل من آل فرعون.

(٤) وإمّا أن في التأخير إخلالا بالتناسب، كما في قوله تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفةً موسى﴾ قُدّم الجار والمجرور "في نفسه"، والمفعول "خيفةً" على الفاعل "موسى" لرعاية مناسبة الفواصل في آخر الآيات، فإنها بالألف المقصورة.

التمرين

١ - ما هو المراد من متعلقات الفعل؟

٢ - بيّن تعلّق الفعل المتعدى بالفاعل، وبالمفعول، كيف هو؟

٣ - كم قسمًا للفعل المنزّل بمنزلة اللازم؟ مثّل لهما.

٤ - ما هو محلّ الاستشهاد فى قول الشاعر:

شجو حسّاده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع

(٥) أخرج محلّ الاستشهاد فى هاتين الآيتين: (١) ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ (٢) ﴿من يشإ الله يضلله﴾.

٦ - لماذا لم يحذَف المفعول فى قول الشاعر:

ولو شئتُ أن أبكى دمًا لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

٧ - استشهد ببيت لحذف المفعول لدفع توهم السامع.

٨ - اذكر أمثلة حذف المفعول لقصد التعميم، ولرعاية الفاصلة، وللقباحة، ولمجرد الاختصار من القرآن والحديث.

٩ - اكتب وجوه تقديم المفعول مع الأمثلة.

١٠ - اذكر فوائد تقديم بعض معمولات الفعل على بعض مستشهدا من القرآن الكريم.

باب القصر

مفهوم القصر: أمّا لغة: هو الحبس، تقول: "قَصَرتُ اللقحة على فرسي" إذا جعلتَ درّها له لا لغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾.

وأمّا اصطلاحًا: فهو تخصيص شيء بطريق معهود من الطرق الثلاثة الآتية: الإفراد والقلب والتعيين.

أقسام القصر

وهو على قسمين: حقيقي وغير حقيقي.

١- القصر الحقيقي: هو تخصيص شيء بشيء بحسب الواقع ونفس الأمر، بأن لا يتجاوز الشيء الأول عن الثاني إلى غيره أصلا، كقصر الضحك بالإنسان وقصر الألوهية بالله تعالى.

٢- القصر غير الحقيقي: هو ما يكون التخصيص فيه بالإضافة إلى شيء آخر، كقصر زيد بالقيام "ما زيد إلا قائم" بمعنى أنه لا يتجاوز من القيام إلى القعود، لا بمعنى أنه لا يوجد فيه غير القيام صفة أخرى، ويقال لغير الحقيقي الإضافي أيضًا.

أقسام القصر الحقيقي:

ثم هو على قسمين: قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على

الموصوف، مثال الأول: ما زيد إلا كاتب[١]، ومثال الثانى: لا معبود بحق إلا الله.

أقسام القصر غير الحقيقى الأولية:

وله أيضا قسمان: قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف، مثال الأول: نحو ما زيد إلا نائم، وقوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول﴾، وقوله تعالى: ﴿ما يعلم الغيب إلا الله﴾.

أقسام القصر غير الحقيقى الثانوية

ثم غير الحقيقى على ثلاثة أقسام: قصر الإفراد، وقصر القلب، وقصر التعيين.

١- **قصر الإفراد**: هو أن يعتقد المخاطب الشركة بين شيئين فصاعداً وأنت تنفى الشركة وتفرد الحكم لواحد، كما فى قوله تعالى: ﴿إنما الله إله واحد﴾ خوطب به من يعتقد أن الله ثالث ثلاثة (والعياذ بالله) بدليل ما قبلها: ﴿ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم﴾.

٢- قصر القلب: هو أن يعتقد المخاطب الحكم لشيء وأنت تقلّب عليه اعتقاده، كما تقول: "ما شاعر إلا امرئ القيس" عند من يزعم أن الأشعر هو الفرزدق.

٣- **قصر التعيين**: هو أن يكون المخاطب متردّدًا فى أن الشاعر الكبير أبو تمام أو المتنبئ، فتقول: إنما الشاعر هو أبو تمام.

(١) هذا المثال للتسهيل والتفهيم، وإلا فلزيد صفات متعددة، فكيف يصح قصره وحصره على الكتابة، بل لا يكاد يوجد له مثال.

أداة القصر وطرقه

وهى أربعة : ١ - العطف ، كقولك فى قصر الموصوف على الصّفة إفرادًا : "زيد شاعر لا كاتب" أو "ما زيد كاتبًا بل شاعر".

٢ - والنفى مع الاستثناء كقولك فى قصر الموصوف على الصفة : "ما زيد إلا شاعر" وقوله تعالى : ﴿وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ أى لستم فى دعواكم للرسالة على الصدق -والعياذ بالله- بل أنتم عندنا كاذبون ، وفى قصر الصّفة على الموصوف تقول : ما الشاعر إلا الفرزدق.

٣ - لفظ "إنّما" كقولك فى قصر الموصوف على الصفة : "إنما زيد كاتب" وقوله تعالى : ﴿إنما إلهكم إله واحد﴾ فى قصر الصفة : الألوهية على الموصوف ، وقوله تعالى : ﴿إنما حرّم عليكم الميتة﴾ وقوله تعالى : ﴿إنّما أنا بشر مثلكم﴾ فى قصر الموصوف على الصفة قصرًا إضافيًا ، أى أنا بشر فقط ولست بملك ، وقول الشاعر :

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطّر الفارس إلا أنا

٤ - والتقديم: أى تقديم ما حقّه التأخير ، كتقديم الخبر على المبتدأ ، أو تقديم المعمولات على الفعل ، كقولك فى قصر الإفراد : "شاعر هو" ردًا لمن يعتقد كون زيد شاعرًا وكاتبًا ، وكما فى قوله تعالى : ﴿إنّ إلينا إيابهم ثمّ إن علينا حسابهم﴾ ، فإن الرجوع إلى الله سبحانه لا إلى غيره ، والله هو المحاسب لا غيره.

التمرين

١ - عرّف القصر لغة واصطلاحا.

٢ - عرّف القصر الحقيقى وغير الحقيقى ومثّل لهما.

٣ - عيّن القصر فى هذه الآيات: ﴿لا إله إلا الله﴾، ﴿وما محمّد إلا رسول﴾، ﴿وما يعلم الغيب إلا الله﴾.

٤ - عرّف قصر الإفراد والقلب والتعيين، ومثّل لها.

٥ - كم طريقا للقصر، اذكرها مع الأمثلة.

٦ - ما هو محل الاستشهاد فى قول الشاعر:

قد علمت سلمى وجاراتها ... ما قطّر الفارس إلا أنا

٧ - اذكر مثالا لكون التقديم للقصر من القرآن الكريم.

باب الإنشاء

مفهوم الإنشاء لغةً واصطلاحًا: أمّا لغةً: فهو بمعنى الإبداع والإيجاد، كما في قوله تعالى: ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾.

وأمّا اصطلاحًا: فهو يطلق على معنيين: (١) على نفس الكلام الذى ليس له فى الخارج نسبة تطابقه أو لا تطابقه، وبهذا المعنى هو مقابل للخبر.

٢ - وعلى ما هو فعل المتكلم، أعنى إحداث وإلقاء هذا الكلام.

أقسام الإنشاء: وهو ضربان: طلبى وغير طلبى، فالطلبى سيأتى بيانه، وغير الطلبى كأفعال المقاربة، وأفعال المدح والذمّ، وصيغ العقود، والقسم ونحوها.

وللإنشاء الطلبى خمسة أقسام: **الأول**: **التمنّى**: هو طلب حصول الشىء على سبيل المحبة، واللفظ الموضوع له "ليتَ"، وليس من شرط صحة التمنّى إمكان وقوع المُتمنّى، كما تقول: "ليتَ الشباب يعود" و "ليت زيدًا يجىء"، وكما فى قول الشاعر:

يا ليتَ أيّام الصبا رواجع

وأمّا فى الترجى فالإمكان شرط صحته، فتقول: "لعل زيدًا يجىء"، وكما فى قوله تعالى: ﴿لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرًا﴾، وأمّا استعمال "لعلّ" للتمنّى فقليل.

وقد يستعمل "هل" و "لو" أيضًا للتمنّى، كما فى قوله تعالى: ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾، فالكفار يتمنّون الشفعاء يوم القيامة، ولكن ما لهم من شفيع.

وتقول في التمني بـ "لو": "لو تأتيني فتحدّثني" وكما في قوله تعالى: ﴿ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.

والثاني **الاستفهام**: وهو طلب فهم الشيء، وحصوله في الذهن، فإن كان المطلوب، فهم نسبة شيء إلى شيء إيجابًا أو سلبًا، فهو طلب التصديق، وإلا فهو طلب التصور.

أداة الاستفهام: وهي الهمزة، وهل، وما، ومن، وأيّ، وكم، وكيف، وأين، وأنّى، ومتّى، وأيّان.

١- فالهمزة لطلب التصديق والتصور، أي قد يطلب بها التصديق، وقد يطلب بها التصور، كقولك: أزيد قائم، أو أقام زيد، في طلب التصديق، وقولك: أخَلّ في الإناء أم عسل؟ -في طلب التصور- عالمًا بوجود شيء في الإناء، وطالبًا تعيينه.

٢- و "هل"[١] لطلب التصديق فحسب، كقولك: "هل قام زيد؟"، و "هل عمرو قاعد؟"، وكما في قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ وقوله تعالى: ﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يَبلى﴾، وأمّا غيرهما (غير الهمزة وهل) فلطلب التصوّر فقط.

٣- ولفظ "ما": (١) إمّا لطلب شرح مفهوم الاسم، كقولنا: ما النسر؟ وما الغضنفر؟ (٢) وإمّا لطلب حقيقة الاسم، كقولك: ما المطر؟ أي ما هي حقيقته؟ فالأولى شارحية، والثانية حقيقةٌ

٣- وإمّا لطلب جنس الشيء، كما تقول: "ما عندك؟" أي أيّ أجناس الأشياء عندك: إنسان أو فرس أو كتاب؟ وكما في قوله تعالى: ﴿قال فما

---

(١) ثم "هل" على قسمين: بسيطة ومركبة، فإذا كانت لطلب وجود الشيء في نفسه نحو: هل زيد موجود فبسيطة، وإذا كانت لطلب صفة أخرى له، نحو: هل زيد قائم، فمركبة.

خطبكم أيُّها المرسلون﴾ أى من أىّ أجناس الخطوب خطبكم هذا؟ وكذا فى قوله تعالى: ﴿ما تعبدون من بعدى﴾ أى أىّ جنس من الموجودات تؤثرونه للعبادة؟

(٤) وإمّا للسؤال عن وصف الشىء، كما تقول: ما زيد وما عمرو؟ أى ما هى أوصافهما، وكما فى قوله تعالى حكايةً عن سؤال فرعون: ﴿قال فرعون وما ربّ العالمين﴾ أى ما هى أوصاف ربّ العالمين الّذى تدعو الناس إلى عبادته، ويمكن أن يكون سؤالا عن الجنس لكمال جهله بربّ العالمين، فسأل عن جنسه، ولمّا رأى موسى سخافة عقله أجابه بالأوصاف من قبيل أسلوب الحكيم.

٤- ومن للسؤال عن الجنس من ذوى العلم، تقول من جبرئيل؟ يعنى أبشر هو أم ملك أم جنّى؟ ومنه قوله تعالى: ﴿فمن ربّكما يا موسى﴾ أى أملك هو أم بشر أم جنّى؟ فأجابه موسى ﴿ربنا الذى أعطى كلّ شىء خلقه ثمّ هدى﴾ أى ربّنا خالق الإنس والجنّ والملك وهاديهم، وليس منهم حتى تزعم الألوهية والربوبية لنفسك[١].

٥- وأمّا أىّ فللسؤال عمّا يميّز أحد الأمرين المشاركين فى شىء، كما تقول لصاحب الثياب: أىّ الثياب هى؟ فتطلب منه وصفًا يميّز هذه الثياب عمّا يشاركها فى الثوبية، فيجبك إمّا باللون (ثياب بيض) وإمّا بالصنعة (هروية أو صينية)، ومنه قوله تعالى: ﴿أىّ الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا﴾ أى أصحاب محمد ﷺ خير مرتبةً أم نحن؟ وقوله تعالى: ﴿أيّكم يأتِنى بعرشها﴾ أى الإنسى أو الجنّى؟

٦- و كم للسؤال عن العدد، فإذا قلت: كم درهمًا لك؟ وكم رجلا

(١) فتجاهل فرعون فى أول الأمر وسأل بـ ما ﴿وما ربّ العالمين﴾، ثم سأل بـ من ﴿من ربكما يا موسى﴾.

رأيتَ، فكأنك قلت: أعشرون أم ثلاثون أم كذا؟ ومنه قوله تعالى: ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ وقوله تعالى: ﴿كم لبثتم فى الأرض عدد سنين﴾.

٧- وأمّا «كيف» فللسؤال عن الحال، كما فى قول الشاعر:

كـــــيف أنت قلت عليل ســـهـــر دائم وحــــزن طويل

٨- و «أين» للسؤال عن المكان، فإذا قيل: أين زيد؟ فجوابه «فى الدار أو فى السوق»، ومنه قوله تعالى: ﴿فأين تذهبون﴾ وقوله تعالى: ﴿أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون﴾.

٩- وأمّا «متى» فللسؤال عن الزمان كما فى قولك: متى تذهب؟ ومنه قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾.

١٠- و «أيّان» أيضًا للسؤال عن الزمان، كما فى قوله تعالى: ﴿يسأل أيّان يوم الدين﴾ وقوله تعالى: ﴿أيّان يوم الدين﴾.

١١- وأمّا «أنّى» فتارةً تأتى بمعنى «كيف» كما فى قوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ أى كيف شئتم قيامًا وقعودًا، مستلقيًا ومضطجعًا.

وأخرى بمعنى «من أين» كما فى قوله تعالى: ﴿أنّى لك هذا﴾ أى من أين لكِ هذا.

استعمال أداة الاستفهام فى معانٍ أخر

وتستعمل تلك الأداة فى غير الاستفهام أيضًا: ١- منها: الاستبطاء، فيأتى «كم» للاستبطاء والتأخير، كقول لقائل: كم دعوتك يعنى استبطأت فى المجيء وتأخرت، ومثله متى، وعليه ورد قوله تعالى: ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾ أى تأخر نصر الله.

٢- ومنها التعجب، فيكون «ما» للتعجب كما فى قوله تعالى: ﴿ما لى

لا أرى الهدهد﴾ أى أتعجّب من غيابه بلا إذن.

٣- ومنها كون "أين" للتنبيه على الضلال، نحو قوله تعالى: ﴿فأين تذهبون﴾ يعنى فى ترك القرآن، والذهاب إلى غيره ضلال.

٤- ومنها كون "الهمزة" للوعيد، كما فى قوله تعالى: ﴿ألم نهلك الأولين﴾ وكما فى قولك للولد الذى يسىء الأدب: أ "أدّب فلانًا؟

٥- ومنها كون "الهمزة" للتقرير -حمل المخاطب على الإقرار- كقولك: أفعلتَ؟ إذا أردت إقرار المخاطب بالفعل، وكما فى قوله تعالى: ﴿أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾.

٦- ومنها استعمال "الهمزة" للإنكار، كما فى قوله تعالى: ﴿أغير الله تدعون﴾ وقوله تعالى: ﴿أغير الله أتخذ وليًا﴾ وقوله تعالى: ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾ أى بلى كاف عبده.

ثم الإنكار قد يكون توبيخًا، كقولك للعاصى: أعصيت ربّك وهو خلقك؟ وقد يكون تكذيبًا كما فى قوله تعالى: ﴿أأنتَ قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله﴾.

٧- ومنها التهكم والاستهزاء، كما فى قوله تعالى: ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾.

٨- ومنها كون "مَن" للتحقير، كما فى قول القائل إذا حقّر أحدًا: من هذا؟ أى لا يناسب لى أن أتكلّم معه.

٩- ومنها استعمال "مَن" للتهويل، كما فى قوله تعالى: ﴿ولقد نجّينا بنى إسرائيل من العذاب المهين مَن فرعون﴾ (بفتح الميم ورفع فرعون على قراءة ابن عباس رض)، فلفظ "مَن" فى هذه القراءة استفهام للتهويل، وبيان عتوّ فرعون وظلمه، أى أتعرفون من فرعون؟

التمرين

١ - اذكر مفهوم الإنشاء لغةً واصطلاحًا.

٢ - عرّف التمنّى، واذكر ألفاظه.

٣ - كم أداةً للاستفهام؟ اذكرها، وما هو الفرق بين هل والهمزة؟

٤ - عيّن معنى كلمة "ما" فى هذه الآيات: ﴿قال فرعون وما ربّ العالمين﴾ ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾، ﴿قال فما خطبكم أيّها المرسلون﴾.

٥ - عيّن محلّ الاستشهاد فى الآيات الآتية: ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ ﴿أيّ الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا﴾، ﴿كم لبثتم فى الأرض عدد سنين﴾ ﴿كيف نكلّم من كان فى المهد صبيًّا﴾ ﴿فأين تذهبون﴾ ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ ﴿فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾ ﴿أنّى لكِ هذا﴾.

٦ - استشهد لكون "متى" للاستبطاء، وكون "ما" للتعجّب، وكون "أين" للتنبيه على الضلال من القرآن الكريم.

٧ - اذكر معانى الهمزة غير الاستفهام.

٣- والثالث الأمر : وهو صيغة (سواء كانت مقترنة باللام نحو ليحضر زيد، أو لم تكن، نحو أكرم عمرا، أو كانت اسم الفعل، نحو رويد بكرا) موضوعة لطلب الفعل استعلاء (خصّ بالاستعلاء) لتبادر الذهن إليه عند سماعها، ولإطباق أئمة اللغة إضافة الصيغة إلى الأمر بقولهم: صيغة الأمر، ومثال الأمر والأمر إنما يكون من جانب العالى للسافل، وقد يستعمل للالتماس، والدعاء عند القرينة، مثال الاستعلاء قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ ومثال الالتماس كقولك لمن يساويك: افعل كذا، ومثال الدعاء قوله تعالى: ﴿رب ارحمهما كما ربّيانى صغيرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿رب اغفر لى ولوالدىّ﴾.

معانى الأمر غير الطلب

ثمّ إن صيغة الأمر قد تستعمل فى غير الطلب (طلب الفعل) بحسب مناسبة المقام: ١- فقد تكون للإباحة (لإبراز أن المأمور به مباح، وليس بلازم) نحو قوله تعالى: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ وكقول الشاعر:

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة

٢- وقد تكون للتهديد، والتخويف كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ لظهور أن ليس المراد الأمر بكل ما شاءوا.

٣- وقد تكون للتعجيز، نحو قوله تعالى: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر فى صدوركم﴾، وقوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾.

٤- وقد تكون للتسخير، أى كون المأمور به مسخرًا وتابعًا لحكم الآمر لا يمكنه الخلاف نحو قوله تعالى: ﴿كونوا قردةً خاسئين﴾.

٥- وقد تكون للإهانة، نحو قوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز

الكريم﴾.

٦ - وقد تكون للستوية بين الأمرين، كقوله تعالى: ﴿أنفقوا طوعًا أو كرهًا لن يتقبّل منكم﴾.

٧- وقد تكون للتمنّى، كقول امرئ القيس:

ألا أيّهــا الليل الطويل ألا انجلِ   بصبح وما الإصباح منك بأمثل

إذ ليس المراد طلب الانجلاء عن الليل؛ لأنه ليس فى وسعه، بل يتمنّى انجلاءه.

٨- وقد تكون للدعاء، نحو قوله تعالى حكايةً عن نوح عليه السلام: ﴿ربّ اغفر لى ولوالدىّ﴾.

٩- وقد تكون للالتماس، كقولك لمن يساويك فى المرتبة: "افعل كذا" (بدون الاستعلاء، أى عدّ الآمر نفسه عاليًا).

١٠- وقد تكون للاحتقار، نحو قوله تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾.

٤- والرابع النهى: وهو طلب الكفّ عن الفعل استعلاء.

أمّا صيغة النهى: فهى الفعل المضارع مع "لا" الجازمة، مثاله نحو قوله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما﴾، وهوكالأمر فى الاستعلاء، أى عدّ الناهى نفسه عاليًا.

المعانى الأخر للنهى غير الكفّ

وقد تستعمل صيغة النهى لغير الكفّ عن الفعل لقرينة تفهم من سياق الكلام: ١- كالدعاء، نحو قوله تعالى حكايةً عن هارون عليه السلام:

﴿ولا تشمت بى الأعداء﴾.

٢- وكالالتماس، كقولك لمن يساويك: "لا تقم من مجلسك حتى أرجع إليك".

٣- والتمنّى كقول الشاعر:

يا ليلَ طُل يا نوم زُل   يا صبح قف لا تطلع

أى أتمنّى عدم طلوعك.

٤- والتهديد، كقولك لخادمك: "لا تطع أمرى" أى لو لم تطعنى أعاقبك.

٥- والدعاء، نحو قوله تعالى: ﴿ربّنا لا تزغ قلوبنا﴾.

٥- والخامس النداء: وهو طلب إقبال الشيء بحرف نائب مناب "أدعو" (لفظًا كان ذلك الحرف، نحو قوله تعالى: ﴿يا جبال أوّبى معه﴾ أو تقديرًا نحو قوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾.

وقد تستعمل صيغة النداء لغير طلب إقبال الشيء.

١- فتكون للإغراء، كقولك لمن يتظلّم (يظهر مظلوميته) وهو مقبل إليك: "يا مظلوم" قصدًا إلى إغراءه وحثّه على زيادة إظهاره ظلم الظالم.

٢- وقد تكون للاختصاص، نحو قول القائل: "أنا أفعل كذا أيّها الرجل" (يا أيّها الرجل بتقدير الياء) أى مخصّصًا إياك من بين الرجال بالإخبار، وكذا قولهم: "واغفر اللهم لنا أيّتها العصابة" أى مخصّصين أيّاكم بالدعاء من بين الأقوام.

فائدة:

وما كان من أداة النداء مشتملا على ثلاثة أحرف كـ "أيا وهيا" يأتى لنداء البعيد، و "أى" و "أ" يأتيان للقريب.

والأصح أن "يا" يأتى لكليهما (للقريب والبعيد)، وقد يقوم بعض حروف النداء مقام بعض أخر لنكتة ومصلحة، كما فى "يا الله" للإشارة إلى بعد ورفعة مرتبة الله تعالى عن عباده، وإنّ كان أقرب من حبل الوريد.

وقوع الخبر موقع الإنشاء

ويقع الخبر موقع الإنشاء لوجوه: ١- للتفاؤل نحو "وفّقك الله" بلفظ الماضى، كأنه وقع إعطاء التوفيق.

٢- ولإظهار الحرص فى وقوع المطلوب، نحو "رزقنى الله لقاءك".

وأمّا الدعاء بصيغة الماضى (نحو رحمه الله وغفر الله له) فيحتمل التفاؤل وإظهار الحرص.

٣- وللاحتراز عن صورة الأمر أدبًا، نحو قول العبد للمولى (حينما حوّل المولى وجهه عن عبده): "ينظر المولى إلىّ ساعة" فلا يقول: "انظر إلىّ ساعة" لأن فيه ترك الأدب.

٤- ولحمل المخاطب على المطلوب، كقولك لصاحبك الذى لا يحبّ تكذيبك: "تأتينى غدًا" مقام "ائتنى غدًا" لحمله على الإتيان بألطف طريق.

التمرين

١ - عرّف الأمر، ومثّل لأقسامها الثلاثة.

٢ - اذكر أربعة أمثلة للأمر المستعمل فى غير الطلب.

٣- ما هو معنى الأمر فى الآية الآتية: ﴿أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبّل منكم﴾.

٤ - وضّح معنى الأمر فى البيت الآتى:

ألا أيّهـــا الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

٥ - اذكر تعريف النهى مع مثاله.

٦ - ما هى المعانى الأخر التى يستعمل فيها النهى؟

٧- عرّف النداء، وعيّن محلّ استعماله بالأمثلة.

٨- وضّح الفرق بين حروف النداء الخمسة قربًا وبعدًا.

٩ - اذكر وجوه وقوع الخبر موقع الإنشاء.

باب الفصل والوصل

الوصل: هو عطف المفردات أو الجمل بعضها على بعض، والفصل: تركه.

واعلم أن الجملة الواقعة بعد الأخرى لا تخلو عن الحالتين: إما أن يكون لها محل من الإعراب (لوقوعها صفةً أو صلةً أو حالا أو خبرًا أو فاعلا أو مفعولا).

أو لا يكون لها محل من الإعراب بأن لا تقع موقع المفرد، ففى الأولى إذا قصد التشريك بينهما فى الإعراب تعطف الثانية على الأولى، أى يكون بينهما وصل، وإن لم يقصد التشريك بينهما فلا تطعف، مثال العطف قوله تعالى: ﴿يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾، ومثال ترك العطف قوله تعالى: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم﴾ لم يعطف ﴿الله يستهزئ بهم﴾ على ﴿إنّا معكم﴾ لفساد المعنى، وفى الثانية يُنظر إلى أحوال الجملتين.

أحوال الجملتين المتعاقبتين: والجملتان المتعاقبتان (الواقعة إحداهما عقب الأخرى) لهما أحوال ستة: (١) كمال الانقطاع بينهما من غير إيهام خلاف المقصود. (٢) كمال الاتصال. (٣) شبه كمال الانقطاع. (٤) شبه كمال الاتصال. (٥) كمال الانقطاع مع الإيهام. (٦) التوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال.

ففى الصور الأربع الفصل (ترك العطف) متعيّن، وفى الثانيتين

(الخامسة والسادسة) الوصل متعيّن.

مثال كمال الانقطاع من غير إيهام خلاف المقصود، نحو قول القائل: "لا تدْن من الأسد يأكلك" لم يعطف "يأكلك" على "لا تدن" لكون الأولى إنشاءً والثانية خبرًا أو لكون الثانية علّة للأولى في المعنى.

وكقول الشاعر:

وقال رائدهم أرسو نزاولها ... فكل حتف امرئ يجري بمقدار

أي قال مقدّم القوم: أقيموا نعالج الحرب ونقاتل، فإن موت كل نفس يجري بقدر الله تعالى وأجله المقرر، ولمّا كان "أرسو" إنشاء، ونزاولها خبرًا ترك عطف الثانية على الأولى.

ومثال كمال الاتصال قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ فإن الجملة الثانية "لا ريب فيه" تأكيد للأولى "ذلك الكتاب" فصارت كنفس الجملة الأولى، كما في قول القائل: "جاء الخليفة نفسه" فلكون التأكيد عين المؤكّد لم تعطف الثانية على الأولى؛ لأن معنى "ذلك الكتاب" هو الكتاب الكامل، و "لا ريب فيه" كالدليل له، أي لأنه خالٍ عن الريب والشك.

ومثال شبه كمال الانقطاع قول الشاعر:

وتظنّ سلمى أنّني أبغي بها ... بدلا أراها في الضلال تهيم

لم يعطف "أراها" على "تظن" لئلا يتوهم السّامع أنه معطوف على "أبغي" لقربه منه، مع أنه ليس بمراد، ومثال شبه كمال الاتصال قول الشاعر:

قال لي كيف أنت قلت عليل ... سهر دائم وحزن طويل

لم يعطف جملة "سهر دائم" على ما قبله لشبه كمال الاتصال، وهو أن السّهر الدائم عين العلّة.

ويسمّى الفصل في هاتين الصورتين استئنافًا؛ لكون الجملة الأولى فيهما منشأً للسؤال، والجملة الثانية بيانًا وجوابًا لها، كأنّ سائلا -في المثال

الأول - سأل عن صدق ظنّ سلمى، فأجاب لا، بل أراها فى ضلال تهيم، وكذلك فى المثال الثانى كأنّ قائل قال: ما هى علّتك؟ فأجاب بأنها سهر دائم، ومثال كمال الانقطاع مع إيهام خلاف المقصود، نحو قولك: لا وشفاه الله، جوابًا لمن سألك هل برئَ محمد من مرضه؟ لأنك لو قلتَ لا شفاه الله فسد المعنى، وهو خلاف المقصود؛ لأنّ المقصود هو الدعاء له لا عليه.

ففى هذه الصّورة وجب الوصل (العطف) ومثال التوسط بين كمال الانقطاع، وكمال الاتصال قوله تعالى: ﴿إنّ الأبرار لفى نعيم وإنّ الفجار لفى جحيم﴾، فهنا أيضًا وجب الوصل (العطف)؛ لأن الجملتين متفقتان فى كونهما خبرًا لفظًا ومعنًى، ومختلفتان باعتبار "الأبرار" و "الفجار" وباعتبار "النعيم" و "الجحيم" فهما متوسطتان فى الانقطاع والاتصال.

محسّنات الوصل: ومن محسّنات الوصل تناسب الجملتين: (١) فى الاسمية -بأن تكونا اسميتين- (٢) وفى الفعلية -بأن تكونا فعليتين- (٣) وفى المضى والمضارعة بأن يكون الفعل فى كل واحدة منهما ماضيًا أو مضارعا. إلا إذا كان هناك مانع، كما إذا أريد بإحداهما التجدد، وجيء بالجملة الفعلية، وبالأخرى الثبوت وجيء بالجملة الاسمية، فيقال: قام زيد وعمرو قاعد.

التمرين

١ - عرّف الفصل والوصل.

٢ - ما هو حكم الجملة التى لها محل من الإعراب باعتبار الفصل والوصل؟

٣- لما ذا لا يصحّ عطف ﴿الله يستهزئ بهم﴾ على ﴿إنّا معكم﴾؟

٤ - ما هى أحوال الجملتين المتعاقبتين؟ اذكرها.

٥ - مثّل لكمال الانقطاع وكمال الاتصال.

٦ - لما ذا استشهد بقول الشاعر :

وتظنّ سلمى أنّنى أبغى بها   بدلا أراها فى الضلال تهيم

٧- عيّن محلّ الاستشهاد فى قول الشاعر :

قال لى كيف أنت قلت عليل   سهر دائم وحزن طويل

٨- هات مثالا لكمال الانقطاع مع إيهام خلاف المقصود.

٩ - قدّم مثالا للتوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال مع بيان وجه التوسط.

١٠ - اذكر محسّنات الوصل تفصيلا.

باب التعبير (الإيجاز والإطناب والمساواة)

١ - التعبير عن المقصود بلفظ مساوٍ له مساواة.

٢ - وبلفظ ناقص عنه وافٍ إيجاز.

٣ - وبلفظ زائد عليه لفائدة إطناب.

أى **المساواة**: هى تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له.

والإيجاز: هو تأدية أصل المراد بلفظ ناقص عنه وافٍ.

والإطناب: هو تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة.

الإخلال: هو أداء المراد بلفظ قاصر عنه، كما فى قول الشاعر:

والعيش خير فى ظلال   ل النوك ممن عاش كدّا

فأراد الشاعر أن العيش الناعم فى ظلال الحمق، وقلة العقل خير من العيش الشاقّ فى ظلال العقل، ولكنه أخلّ فى أداء المراد.

والتطويل: هو أداء المراد بلفظ زائد عليه لا لفائدة، ولا يكون الزائد فيه متعينًا، مثاله قول الشاعر:

وألفى قولها كذبا ومينًا

فإن واحدا من "الكذب" أو "المين" زائد بلا فائدة.

والحشو: هو أداء المراد بلفظ زائد عليه لا لفائدة، ويكون الزائد فيه متعيّنًا، وهو قد يكون مفسدًا للمعنى، وقد لا يكون كذلك، مثال الأول قول أبى الطيب:

ولا فضل فيها للشجاعة والندى   وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فإن لفظ "الندى" حشو يفسد المعنى كما هو الظاهر.

ومثال الثانى قول الشاعر :

ذكـــرت أخى فـــعـــاودنى   صـــــداع الرأس والـوصـب

فإنّ لفظ " الرأس " فيه حشو لا فائدة فيه ؛ لأنّ الصداع لا يستعمل إلا فى الرأس ، ولكن ليس بمفسد للمعنى ، وكذا قول الشاعر :

وأعلـم علم اليـوم والأمس قبله   ولكننى عن علـم مـا فى غـد عم

فإن ذكر " قبله " بعد الأمس حشو ، ولكنه غير مفسد.

ومن أمثلة المساواة : (١) قوله تعالى : ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾.

(٣) وقول النابغة الذبيانى :

فـإنك كـالليل الذى هو مـدركى   وإن خِلتُ أن المنتأى[1] عنك واسع

أنواع الإيجاز

والإيجاز ضربان : (١) إيجاز القصر : وهو ما ليس فيه حذف ، مثاله قوله تعالى : ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ فإنه لا حذف فيه ، ومع ذلك معناه كثير يزيد على لفظه.

وقوله تعالى : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.

(٢) وإيجـاز الحـذف : وهو الذى يكون بحـذف شىء من الكلام ، وستأتى أمثلته بعد بيان أقسامه.

(١) موضع البعد.

أنواع المحذوف (فى إيجاز الحذف)

والمحذوف على ثلاثة أنواع: جزء جملة، وجملة كاملة، وأكثر من جملة.

(١) ثمّ إذا كان المحذوف جزء جملة فله أنواع ستة: ١- أن يكون المحذوف مضافًا، كما فى قوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ أى أهل القرية، وفى قوله تعالى: ﴿حُرّمت عليكم الميتة﴾ أى تناولها وأكلها؛ لأن الحكم الشرعى -وهى الحرمة- إنما يتعلق بأفعال المكلف لا بالأجسام.

٢- وأن يكون المحذوف موصوفًا، كقول الشاعر:

أنا ابن جــــلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونى

أى أنا ابن رجل انكشف وظهر أمره وهو الراكب صعاب الأمور.

٣- وأن يكون صفةً، كما فى قوله تعالى: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا﴾ أى كل سفينة صحيحة أو صالحة أو نحوهما بدليل ما قبله: ﴿فأردت أن أعيبها﴾.

٤- وأن يكون شرطًا كما فى قول القائل: ليت لى مالا أنفِقه، أى إن أرزق مالا أنفقه، فالشرط -إن أرزق مالا- محذوف.

٥- وأن يكون جواب شرط، ثم حذف جواب الشرط على نوعين: الأول أن يكون حذف الجواب لمجرد الاختصار، كقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون﴾ أى أعرضوا عن اتّقاء العذاب، والقرينة ما بعده من قوله تعالى: ﴿وما يأتيهم من آية من آيات ربّهم إلا كانوا عنها معرضين﴾.

والثـاني : أن يحـذف للدلالة على أن المحـذوف شيء لا يحـيط به الوصف (أي بيانه على وجه الكمال صعب جدًا) أو لتذهب نفس السّامع في تعيين المحذوف كل طريق ممكن، مثاله قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ أي لرأيت أمرًا فظيعًا لا يمكن وصفه لأجل شدّته.

٦ - وأن يكون المحذوف غير ذلك (المذكور) من أجزاء الجملة، مثاله قوله تعالى : ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ أي ومن أنفق من بعده، فالمحذوف الواو والموصول (من) وصلته (أنفق) والظرف (من بعده).

(٢) وإذا كان المحذوف جملةً (أي كلامًا مستقلا لا يحتاج في الإفادة إلى غيره) فله ثلاثة أنواع : ١ - الأول : أن تكون الجملة المحذوفة مسبَّبةً وذُكِر سببها، كقوله تعالى : ﴿ليحق الحقّ ويبطل الباطل﴾ والمحذوف : أي " فعل الله ما فعل " لأجل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

٢ - والثاني : أن تكون (المحذوف) سببًا وذكر مُسبَّبها كقوله تعالى : ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم﴾ أي فامتثلتم أمر ربكم وبسببه قبل توبتكم.

٣ - والثالث : أن تكون (المحذوفة) غير السبب والمسبب كقوله تعالى : ﴿فنعم الماهدون﴾ أي هم نحن، بناءً على أنه من باب حذف المبتدأ والخبر على قول من يجعل المخصوص المحذوف خبرًا لمبتدأ محذ وف، فالمحذوف في هذه الآية جملة اسمية " هم نحن " فليست سببًا ولا مسببًا لسابقها.

(٣) وإذا كان المحذوف أكثر من جملة، فمثاله قوله تعالى : ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾ أي ضربوه ببعضها، فحيِيَ، فقلنا : كذلك يحيي الله الموتى، فالمحذوف ثلاث جمل.

وقوله تعالى : ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيّها الصدّيق﴾ أي

فأرسلونى إلى يوسف لأسأله عن الرؤيا، فأرسلوه إليه، فأتاه وقال له: يا أيّها الصدّيق.

أنواع الحذف

واعلم أن الحذف على وجهين: الأول: أن لا يقام شىء مقام المحذوف، بل يكتفى بالقرينة والدليل، كما فى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين وما خلفكم لعلكم ترحمون﴾ أى أعرضوا بقرينة ما بعده من قوله تعالى: ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾.

والثانى: أن يقام مقام المحذوف ما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أرسلتُ إليكم﴾، فإن جواب الشرط ليس قوله: ﴿فقد أبلغتكم﴾ لأن الإبلاغ مقدّم على التولى، بل الجواب محذوف، أى فإن تولّوا فلا لوم علىّ؛ لأنى قد أبلغتكم، فالمذكور علّة للجواب وقائم مقامه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وإن يكذّبوك فقد كذّب رسل من قبلك﴾ أى فاصبر ولا تحزن، فإنه قد كذبت رسل من قبلك.

أنواع ما يدل على الحذف وتعيين المحذوف

وما يدل على الحذف كثيرة: ١- منها أن يدل العقل على الحذف، ويدل المقصود الأظهر على تعيين المحذوف، كما فى قوله تعالى: ﴿حُرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ فالعقل يدلّ على أنّ ههنا حذفًا؛ لأن الأحكام الشرعية (الحلّ والحرمة والكراهة) إنما تتعلق بأفعال المكلّف، دون الأجسام، وكذلك المقصود الأظهر من الأمور المذكورة فى الآية هو تناولها،

وهو شامل للأكل والشرب والانتفاع، فعلم أن المحذوف تناول الميتة والدم ولحم الخنزير.

٢- ومنها أن يدل العقل على الحذف، وعلى تعيين المحذوف كليهما، كما في قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ أي أمر ربك أو عذابه، فعقل المؤوّل المتأخر يدل على أن في الكلام حذفًا، وأن المحذوف هو أمر الله أو عذابه (وأما عقل المفوِّض المتقدم لا يدل على الحذف ولا على تعيينه، بل يفوّض مفهوم المجيء إلى الله تعالى).

٣- ومنها أن يدل العقل على الحذف، وتدل العادة على تعيين المحذوف، كما في قوله تعالى حكايةً عن امرأة العزيز: ﴿فذلكنّ الذى لمتنّنى فيه﴾ فقد دلّ العقل على الحذف؛ لأن الإنسان إنما يلام على فعل نفسه وكسبه، فيحتمل أن يكون التقدير لمتنّنى فى حبّه بدليل ﴿قد شغفها حبّا﴾، أو يكون التقدير فى مراودته، بدليل ﴿تراود فتاها عن نفسه﴾ والعادة دلت على تعيين المحذوف، وهو المراودة؛ لأن الحبّ المفرط لا يلام عليه المرء فى العادة لقهره صاحبه وغلبته إيّاه، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه وقدرته.

٤- ومنها أن تدل العادة على الحذف وتعيين المحذوف كليهما، كما فى قوله تعالى: ﴿لو نعلم قتالا لاتّبعناكم﴾ ومع أنهم (المنافقين) أعلم الناس بالحرب كيف يقولون: إنهم لا يعرفونها؟ فلا بد من حذف فى الكلام، وقد قدّره مجاهد رحمه الله "مكان قتال" يعنى أنكم تقاتلون فى موضع لا يصلح للقتال، والدليل على هذا المحذوف أن المنافقين أشاروا على النبى ﷺ أن لا يخرج من المدينة، وأن الحزم فى البقاء فيها.

٥- ومنها الشروع فى الفعل، كقول المؤمن عند أكل الطعام: بسم الله وعلى بركة الله، أو قوله عند القراءة: بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه يدل

على أن المحذوف في الأول "اكل"، وفي الثاني "أقرأ"، فالفعل المشروع فيه قرينة على تقدير متعلّق التسمية.

٦- ومنها اقتران الكلام بالفعل، فإنه يفيد تقدير المحذوف وتعيينه، كقولك لمن أعرس: "بالرفاء والبنين" أي أعرست بالرفاء (الاتفاق والاتصال) والبنين.

التمرين

١- عرّف الأمور الآتية، ومثّل لها، الإيجاز، والإطناب، والمساواة، والإخلال والتطويل والحشو.

٢- وضّح الفرق بين إيجاز القصر وإيجاز الحذف.

٣- اذكر أنواع المحذوف في إيجاز الحذف.

٤- عيّن المحذوف في الآيات الآتية: ١- ﴿واسأل القرية﴾ ٢- ﴿حرّمت عليكم الميتة﴾ ٣- ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا﴾ ٤- ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلّكم ترحمون﴾.

٥- ما هو المحذوف في هذا البيت؟

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

٦- إذا كان المحذوف جملة، فكم قسمًا له؟ بيّنها مع الأمثلة.

٧- ما هو المحذوف في هذه الآية: ﴿فنعم الماهدون﴾؟

٨- عيّن المحذوف في الآية الآتية: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾.

٩- اذكر أنواع ما يدل على الحذف، وعلى تعيين المحذوف مع ذكر ثلاثة أمثلة منها.

١٠- ما هو المحذوف في "بسم الله الرحمن الرحيم"؟

الإطناب وطرقه

وللإطناب -الذى هو تأدية أصل المراد بلفظ زائد عليه لفائدة- ثمانية طرق : ١- الأول : الإيضاح بعد الإبهام ، مثاله قوله تعالى : ﴿ربّ اشرح لى صدرى ويسّر لى أمرى﴾ ، فإن قوله : "اشرح لى" يفيد طلب شرح شىء مّا للطالب ، وقوله : "صدرى" يفيد إيضاحه وبيانه ، وكذلك قوله : "يسّر لى أمرى" فإن فى "يسّر لى" إبهامًا ، أى سؤال تيسير شىء للسائل وفى "أمرى" إيضاحًا وبيانًا له بأن المسؤول هو أمر الإرسال إلى فرعون ، كما يدل عليه السياق.

فوائد الإيضاح بعد الإبهام

(١) إظهار المعنى وإرائته فى صورتين مختلفتين من الإبهام أولا ، والإيضاح ثانيًا.

(٢) أن يتمكن المعنى فى نفس السّامع أفضل تمكّن ؛ لأن الإيضاح بعد الإبهام أوقع فى النفوس طبعًا.

(٣) تكميل لذة بالمعنى ، فإنّ الحصول بعد الشوق الحاصل من الإبهام ألذّ وأرغب.

(٤) تعظيم الأمر المطلوب وبيان أهميته بذكره مرتين.

ومن الإيضاح بعد الإبهام التوشيع ، وهو فى اللغة : لفّ القطن المندوف.

وفى الاصطلاح : أن يؤتى فى عَجُزِ الكلام بمثنى مفسّر باسمين :

أحدهما معطوف على الآخر، كما في قوله عليه الصلاة والسلام (رواية بالمعنى): "يهرم ابن ادم ويشبّ فيه خصلتان الحرص وطول الأمل".

٢- والثاني: من طريق الإطناب عطف الخاص على العام للتنبيه على فضل الخاص، كأنه ليس من جنس ذلك العام تنزيلا للتغاير في الوصف (بينهما) منزلة التغاير في الذات، نحو قوله تعالى: ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ فذكر جبريل وميكال بعد ذكر الملائكة من قبيل ذكر الخاص بعد العام لإظهار مغايرته عن العام رتبةً، وإن كان فردا منه ذاتا.

٣- والثالث: أن يكون بالتكرير لنكتة كتأكيد الإنذار في قوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ثمّ كلا سوف تعلمون﴾ ففي التكرير ردع وإنذار أي سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه، إذا عاينتم ما أمامكم من لقاء الله وحسابه.

٤- والرابع: أن يكون بالإيغال، وهو في اللغة: مأخوذ من قولهم: أوغل في البلاد إذا بعد فيها.

وأمّا في الاصطلاح: فقد اختلف فيه، فقيل: ١- هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها، كزيادة المبالغة في قول الخنساء:

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

لم تكتف الشاعرة بتشبيهه بمطلق الجبل، بل شبّهته بجبل فوقه نار، مع أن المعنى يتمّ بدون هذا التشبيه أيضًا.

٢- وقيل: لا يختص (الإيغال) بالنظم، فعلى هذا هو: ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بدونها.

٥- والخامس: أن يكون (الإطناب) بالتذييل، وهو في اللغة: جعل الشيء ذيلا لشيء.

وفي الاصطلاح : هو تعقيب جملة بجملة -تشتمل على معنى الجملة الأولى- للتوكيد.

والفرق بين الإيغال والتذييل من وجهين : (١) أن الإيغال يكون في ختم الكلام والتذييل أعمّ.

(٢) وأن التذييل يكون بجملة وللتأكيد، بخلاف الإيغال فإنه يكون بغير جملة وبغير التأكيد أيضًا.

أقسام التذييل

وهو على ضربين : (١) أحدهما ضرب لا يخرج مخرج جملة مستقلة لعدم استقلاله بإفادة المراد، ولتوقفه على ما قبله، نحو قوله تعالى : ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾، فإن المراد من "المجازاة" في "نجازي" العقوبة، فيكون تعلقه بما قبله من الكفر، ويتوقف عليه.

(٢) وضرب يخرج مخرج جملة مستقلّة في إفادة المراد بنفسه، وعدم توقفه على ما قبله، نحو قوله تعالى : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا﴾، فقوله تعالى : ﴿إن الباطل كان زهوقًا﴾ فيه تذييل، وتأكيد للجملة الأولى : ﴿ وزهق الباطل﴾، ولكن لا يتوقف -في إفادة المراد- على ما قبله، بل يدل على أمر كلي وهو زهوق الباطل، فإن كل باطل زاهق، ومن أمثلته قول الشاعر :

تزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يعط أثمان المكارم يُحمد

أنواع التأكيد بالتذييل

ثم التأكيد الحاصل من التذييل على قسمين : الأول : أن يكون لتأكيد منطوق الكلام، أى لتأكيد ما يدل عليه الجملة الأولى بمنطوقها، نحو المثال السابق من قوله تعالى : ﴿إن الباطل كان زهوقًا﴾ فإنه أكدّ منطوق قوله تعالى : ﴿وزهق الباطل﴾.

والثانى : أن يكون لتأكيد مفهوم الكلام، نحو قول الشاعر :

ولستَ بمستبق أخا لا تلمّه   على شعث أىّ الرجال المهذّب

أى لستَ أنت طالبًا بقاء مودّة أخٍ حال كونك لا تجمعه إليك ولا تصلحه مع تفرّق وأوساخ باطنية تكون فيه، ولكن من يكون مهذّبًا، وخاليًا عن العيوب من الرجال، فصدر البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال، فحقق ذلك وقرّره فى آخر البيت.

٦- والسادس : أن يكون -الإطناب- بالتكميل ويسمّى -هذا التكميل- الاحتراس أيضًا؛ لأن الاحتراس هو التوقى والاحتراز عن الشىء، وفى التكميل أيضًا احتراز وتوقى عن إيهام خلاف المقصود -هذا هو معناه اللغوى-.

وهو فى الاصطلاح : أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يرفعه، أى يؤتى بشىء يزيل خلاف المقصود، مثاله قول الشاعر :

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمى

أى سقى ديارك مطر الربيع ومطر دائم يسيل حال كون المطر غير مفسد ديارك؛ لأن نزول المطر قد يكون سببًا لخراب الديار وفسادها، فدفع ذلك

بقوله: غير مفسدها .

وكذلك قوله تعالى: ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾ ، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلّة على المؤمنين لتوهّم أن ذلّتهم هذه لضعفهم، فلمّا قال: ﴿أعزّة على الكافرين﴾ علم أنّها تواضع منهم للمؤمنين، ولذا عدّى الذل بـ على لتضمنّه معنى العطوفة، أى عاطفين عليهم على وجه التواضع والتذلل.

٧- والسابع: أن يكون بالتتميم، وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة (أى بما يتم أصل المعنى بدونه، كالمفعول به والجار والمجرور).

وتفيد تلك الفضلة نكتة زائدة كالمبالغة، مثاله قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبّه﴾ أى مع حبّه يعنى مع اشتهاءه والحاجة إليه، وقوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبّه﴾ أى مع حبّه.

٨- والثامن: أن يكون (الإطناب) بالاعتراض، وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين -من جهة المعنى- بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع إيهام خلاف المقصود (المذكور فى تعريف التكميل).

وتلك النكتة: (١) إمّا التنزيه والتعظيم كما فى قوله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات -سبحانه- ولهم ما يشتهون﴾، فقوله: سبحانه جملة بتقدير الفعل، أسبّح وقعت فى أثناء الكلام (بين المعطوف والمعطوف عليه).

(٢) وإمّا الدعاء كما فى قول أبى الطيب:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرّب يرى كل ما فيها -وحاشاك- فانيا

فإن حاشاك دعاء حسن فى موضعه، (٣) وإمّا التنبيه ، كما فى قول الشاعر :

واعلم فعلم المرء ينفعه ... أن سوف يأتي كل ما قدّرا

فقوله: "فعلم المرء ينفعه" معترضة بين "اعلم"، وبين مفعوله "أن سوف يأتي" يعني أن المقدّرات آت البتة وإن وقع فيه تأخير مّا.

(٤) وإمّا تخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر علّق بهما، كما في قوله تعالى: ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهنًا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك﴾، فجملة "حملته أمّه" إلى قوله تعالى: ﴿وفصاله في عامين﴾ معترضة لزيادة تأكيد الإحسان في حق الأمّ.

التمرين

١- اذكر الطريق الأوّل للإطناب وفوائده.

٢- ما هو معنى التوشيع؟ وكيف يكون منَ الإيضاح بعد الإبهام؟

٣- اذكر مثالا لعطف الخاص على العام مع بيان فائدته.

٤- ما هي فائدة الإطناب بالتكرير؟ اذكرها مع المثال.

٥- اذكر مفهوم الإيغال لغةً واصطلاحًا، ومثّل له.

٦- عرّف التذييل وبيّن أقسامه وقدّم أمثلته.

٧- ولماذا استشهد بقول الشاعر:

ولستَ بمستبق أخًا لا تلمّه ... على شعث أيّ الرجال المهذّب

٨- بيّن تعريف التكميل ومثاله.

٩- ما هو التتميم هاتِ مثالا لإيضاحه؟

١٠- عرّف الاعتراض مع ذكر فوائده ونكته.

١١- أخرج محلّ الاستشهاد من هذه الآية: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا﴾.

علم البيان

تعـريف علم البـيـان: اللبـيـان فى اللغـة : الكشف والإيضـاح ، وفى الاصطلاح : هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه وخفـاءها (أخـذًا من قـوله تعـالى : ﴿خلق الإنسـان علّمه البيان﴾).

والمراد بالعلم القواعد والأصول التى يُستعان بها فى تأدية المعنى الّذى يُلقى إلى المخاطبين ، وفى معرفة الطرق المختلفة من التشبيه والمجاز والكناية.

وإنما يفيد هذا العلم بعد كون ا لكلام (الدال على ذلك المعنى الواحد) مطابقًا لمقتضى الحال.

وموضـوعه: هو الكلام البليغ أو الأساليب (الطرق) المختلفة من حيث خلوها عن التعقيد بقسميه (سواء كانت فى صورة التشبيه ، أو المجاز ، أو الكناية أو غيرها) ، فإنه يبحث فى هذا العلم عن أحوال تلك الأساليب ، وكل ما يبحث فى العلم عن أحواله فهو موضوع ذلك العلم.

و غايته: هو الوقوف على أسرار كلام العرب (منثوره ومنظومه) أوّلا ، والوقوف على إعجاز القرآن الكريم ، واشتماله على أعلى مراتب البلاغة ثانيا ، وصيانة الكلام عن جميع أنواع التعقيد ثالثًا.

الدلالة وأنواعها

ولمّا كان اختلاف تلك الطرق لأجل وضوح الدلالة وخفاءها ناسب

ذكر الدلالة عامة، وذكر الدلالة المعتبرة عند البلغاء خاصة.

تعريف الدلالة: هى كون الشىء بحالة يلزم من العلم به العلم بشىء آخر كالدخان والنار، ويسمّى الأول الدال، والثانى المدلول.

أقسام الدلالة: ١ - دلالة اللفظ على جميع ما وُضع له مطابقة، ٢ - ودلالته على جزءه تضمّن، ٣- وعلى خارج لازم له التزام، مثال الأول: كدلالة لفظ "البيت" على السقف والجدران، أو دلالة لفظ "الإنسان" على الحيوان الناطق، ومثال الثانى: كدلالة "البيت" على السقف فقط، أو على الجدران فقط، أو دلالة "الإنسان" على الحيوان، أو على الناطق، ومثال الثالث: كدلالة "البيت" على الحائط، أو "الإنسان" على الضاحك.

الدلالة المعتبرة عند البلغاء

الدلالة الوضعية: هى كون الشىء بحالة يلزم من العلم به ا لعلم بشىء آخر لأجل وضعه له.

والدلالة اللفظية الوضعية: هى كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى للعلم بوضعه له.

فالأولى -الدلالة المطابقية- لفظية، والثانية والثالثة علقيتان.

ثم إيراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية؛ لأن السّامع إذا كان عالمًا بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالةً من بعض، حتى تحصل الطرق المختلفة، وإذا لم يكن عالمًا بوضعها لا يدلّ شىء منها على المعنى عنده؛ لتوقف الفهم على العلم بالوضع.

وإنما يتأتى ذلك (إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة) بالدلالات العقلية

(التضمنية والالتزامية) لجواز أن يكون للشيء لوازم، أو أجزاء بعضها أوضح من بعض.

شرط الدلالة الالتزامية

وشرط الثالثة هو اللزوم الذهني، وهو أن يكون حصول المعنى الموضوع له في الذهن مستلزمًا لحصول الأمر الخارج اللازم فيه، لأن الأمر الخارج لو لم يكن لازمًا للموضوع له لا يدل اللفظ عليه، وإلا يلزم دلالة اللفظ على كل أمر خارج عن الموضوع له، وهو خطأ ظاهر.

والمراد من اللزوم الذهني: هو اللزوم العرفي، عقلا كان أو خارجًا، لا اللزوم الخارجي فقط؛ لأنّا نجد بين "العمى" و "البصر" لزومًا في الذهن مع معاندتهما في الخارج، ولا اللزوم العقلي فقط، لأنّا نجد بين كثرة الرماد والجود لزومًا في الخارج مع عدم اللزوم بينهما في العقل.

الأركان الأساسية لعلم البيان

وأركانه الأساسية ثلاثة: التشبيه، والمجاز، والكناية، لأن اللفظ الذي أريد منه لازم الموضوع له، أو جزءه إن قامت قرينة على عدم إرادة الموضوع له، فهو مجاز، وإلا فهو كناية، ثمّ المجاز إن كانت علاقته غير التشبيه فهو مجاز مرسل، وإن كانت تشبيهًا فهو مجاز مستعار.

ولمّا كان بناء الاستعارة على التشبيه تعيّن التعرض له، فانحصر مقصود علم البيان في التشبيه والمجاز والكناية.

التمرين

١ - اذكر تعريف علم البيان وموضوعه وغايته.

٢ - عرّف الدلالة اللفظية الوضعية، وبيّن أنواعها.

٣ - ما هى الدلالة المعتبرة عند البلغاء، ولماذا؟

٤ - ما هو شرط الدلالة الالتزامية؟

٥ - ما هو المراد من اللزوم المعتبر فى الدلالة الالتزامية؟

٦ - ما هى الأركان الأساسية لعلم البيان، ولماذا؟

التشبيه وأركانه وأداته وغرضه

١ - **مفهوم التشبيه**: هو لغةً: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في وصف من الأوصاف.

واصطلاحًا: هو بيان أن شيًا شارك غيره في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها، ملفوظةً كانت تلك الأداة أو مقدرةً، نحو زيد كالأسد في الشجاعة، وزيد أسد، وقوله تعالى: ﴿صمّ بكم عمى﴾ أى هم كالصم والبكم والعمى، بحذف المشبه وأداة التشبيه.

مرتبة التشبيه عند البلغاء

وإذا عرفت معنى التشبيه لغةً واصطلاحًا، فاعلم أنه مما اتفق العقلاء والبلغاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فنّ البلاغة، وأنّ تعقيب المعانى بالتشبيه يضاعف قواها فى تحريك النفوس إلى المقصود بتلك المعانى، مدحًا كانت أو ذمًا أو افتخارًا أو غير ذلك، انظر إلى قول القائل:

وطول مقام المرء فى الحيّى مُخلِق   لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإنّى رأيت الشمس زيدت محبّته   إلى الناس ليست عليهم بسرمد

وإلى قول الشاعر:

ومـا المال والأهلون إلا ودائع   ولا بد يومًا أن تُردّ الودائع

وإلى قول النبى ﷺ: «من فى الدنيا ضيف وما فى يده عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة».

٢ - أركان التشبيه: وأركانه أربعة: طرفاه، ووجهه، وأداته، والنظر ههنا في أركانه، والغرض منه، وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات.

١ - التقسيم الأول لطرفيه باعتبار الحسّية والعقلية: وطرفاه على ثلاثة أقسام: (١) إمّا كلاهما حسّيان، كما تقول: خدّك كالورد (في المبصرات) و صوتك كالهمس (في المسموعات)، و نكهته كالعنبر (في المشمومات) وريقها كالخمر (في المذوقات) وجلده كالحرير (في الملموسات).

(٢) وإمّا كلاهما عقليان، كما في تشبيه العلم بالحياة.

(٣) وإمّا مختلفان، والمعقول هو المشبه، كما في تشبيه المنية (الموت) بالسبع، أو المعقول هو المشبه به، كما في تشبيه العطر بالخلق الكريم.

والمراد بالحسي ما يدرك بالحسّ، والمراد بالعقلي ما يدرك بالعقل، فالخيالي داخل في الحسّي والوهمي داخل في العقلي، فالمشبه أو المشبه به الخيالي ليس بخارج عن الحسّي، كما أن الوهمي داخل في العقلي.

٢ - التقسيم الثاني لطرفيه باعتبار الإفراد والتركيب: ثم طرفاه إمّا مفردان أو مركبان أو مختلفان، مثال المفردين قول الشاعر:

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى　　كعنقود ملاحية حين نورا

ومثال المركّبين قول الشاعر:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا　　وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومثال المشبه المفرد والمشبه به المركب قول الشاعر:

كأنّ محمّر الشقيق　　إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر　　ن على رماح من زبرجد

ومثال المشبّه المركب والمشبه به المفرد نحو تشبيه نهار فيه شمس، وفي ضوء الشمس زهرة، بليلة مقمرة، فالمشبّه هو الهيئة الحاصلة من النهار الذي فيه شمس وزهرة، وهي مركبة، والمشبه به -هي ليلة فيها قمر- **مفرد**.

مثال المشبه به الخيالى قول الشاعر :

كأنّ محمّر الشقيق إذا تصوّب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

فإنّ الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحسّ، ولكن مادتها -وهى الياقوت والزبرجد والرماح- محسوسة بالبصر.

ومثال المشبه به الوهمى قول الشاعر :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فالمشبّه به وهو أنياب الأغوال أمر وهمى لا يدرك بالحسّ، لعدم وجودها فى الحقيقة، ولكن لو أدرِكَتْ إنما تُدْرَكُ بحسّ البصر.

وجه الشبه: هو الوصف الذى يشترك فيه الطرفان (المشبه والمشبه به) تحقيقًا كان أو تخييلا، والمراد بالتحقيقى أن يوجد وجه الشبه فيهما حقيقةً كالشجاعة فى زيد وأسد.

والمراد بالاشتراك التخييلى : أن لا يمكن وجوده فى المشبه به إلا على تأويل، كما فى قول الشاعر :

وكأنّ النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شيء مظلم أسود، فهى غير موجودة فى المشبه به إلا على طريق التخييل.

٣- التقسيم الثالث لوجه الشبه: وهو على ستة أقسام: **الأول:** أن يكون وجه الشبه عين حقيقة الطرفين -المشبه والمشبه به- كما تقول: زيد كعمرو فى كونه إنسانًا، أو العنب كالرمّان فى كونه شجرًا.

والثانى : أن يكون جزء حقيقتهما وكان جنسًا، كما فى تشبيه الفرس بالإنسان فى كونهما حيوانًا.

والثالث : أن يكون جزء حقيقتهما وكان فصلا ، كما فى تشبيه قميص بآخر فى كونهما من القطن.

والرابع : أن يكون خارجًا عن حقيقة الطرفين وكان صفة حسّية كالألوان والأشكال ، كما تقول : الغراب كالليل فى السواد.

والخامس : أن يكون صفةً عقليةً كالكيفيات النفسانية مثل الذكاء والعلم والمعرفة.

والسادس : أن يكون صفة إضافية كإزالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس كما تقول : حجته واضحة كالشمس ، فتزيل ظلمة الجهل مثل إزالة الشمس حجاب الظلمة.

٤- **التقسيم الرابع لوجه الشبه**: باعتبار الوحدة والتعدد ، اعلم أن وجه الشبه إمّا واحد ، وإمّا متعدد لا يحتاج بعضه إلى بعض ، أو متعدد يحتاج بعضه إلى بعض ، ويقال لهذا الثالث : المركّب ، فإذًا وجه التشبيه إمّا واحد عقلى ، أو واحد حسّى ، وإمّا مركّب عقلى أو مركّب حسّى ، وإمّا متعدد عقلى ، أو متعدد حسّى ، أو بعضه عقلى وبعضه حسّى ، فصار الأقسام الإجمالية سبعة نذكرها بالتفصيل ، والتمثيل إن شاء الله تعالى.

١- مثال الواحد الحسّى : كالحمرة فى تشبيه الخدّ بالورد ، وطيب الرائحة فى تشبيه ريق المحبوبة بالخمر.

٢- ومثال الواحد العقلى : كالعراء عن الفائدة فى تشبيه وجود شىء -لا فائدة فيه- بعدمه ، كما يقال : وجود الفلانى كعدمه ، والإدراك فى تشبيه العلم بالحياة.

٣- ومثال المركّب الحسّى قول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى ... كعنقود مُلاحية حين نوّرا

أى قد ظهر فى وقت الصبح الثريا كما ترى أنت ، كعنقود أبيض فى حبّه

طول حين ظهر نورته وزهرته، فالمشبه (وهو الثريا) مفرد، والمشبه به (وهو العنقود) أيضًا مفرد أى ليس بمتعدد، وأمّا وجه التشبيه فمركّب حسّى، وهو الهيئة الحاصلة من تقارن الصّور البيض المستديرة الصغار المقادير فى محل الرؤية على كيفية مخصوصة مع مقدار مخصوص.

٤- ومثال المركب العقلى لوجه الشبه قوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا﴾، فالمشبه مَثَل اليهود، والمشبه هو مَثَل الحمار الحامل للكتب، ووجه التشبيه عدم الانتفاع بأكمل نافع، وهو أوعية العلم مع التعب الحاصل من استصحابه وحمله.

٥- ومثال وجه الشبه المتعدد الحسّى: كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه الفواكه والأزهار بعضها ببعض.

٦- ومثال المتعدد العقلى: كحدّة النظر، وكمال الحذر، وإخفاء السفاد فى تشبيه طائر بالغراب.

٧- ومثال المتعدد المختلف: كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه إنسان بالشمس.

الفرق بين وجه الشبه المتعدد والمركّب

والفرق بينهما أن المقصود فى المتعدد اشتراك الطرفين (المشبه والمشبه به) فى كلّ من تلك الأمور المتعددة، ولا يُعمد إلى انتزاع هيئة منها لتكون تلك الهيئة مشتركة بينهما، بخلاف الوجه المركب، فإن المقصود فيه هى الهيئة المنتزعة من الأمور المتعددة.

٣- أداة التشبيه

وأمّا أداته فالكاف، وكأنّ، ومثل، ونحو، وشبه، وما يشتق من لفظة مثل وشبه نحو زيد كالأسد، وعمرو كأنّه أسد، وحاتم مثل البحر، والجاهل شبه لا شيء، ونحوها، وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه، كقولك: علمت زيدًا أسدًا في محل المبالغة والجزم بالتشبيه، وقولك: حسبت زيدًا أسدًا، أو خلت زيدًا أسدًا في محل الظنّ بالتشبيه.

٤- الغرض من التشبيه

وهو على ضربين: الأول: -وهو الأغلب- ما يعود إلى المشبه، والثاني: ما يعود إلى المشبه به، وهذا قليل.

فالغرض العائد إلى المشبه على أوجه:

١ - منها بيان أن وجود المشبه ممكن -إذا كان فيه بعد واختلاف- كما في قول أبي الطيب:

فإن تفُقِ الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

فكما أن فوقية ورفعة المسك عن سائر دم الغزال ليس ببعيد، كذلك فوقية ورفعة الممدوح عن الأنام ممكن وغير مستحلّ.

٢ - ومنها بيان حال المشبه بأنه على أيّ وصف من الأوصاف، كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد (إذا كان السامع يعلم وصف المشبه به ولونه،

دون وصف المشبه) فتقول : هذا مثل ذلك فى شدّة السواد، أو البياض.

٣- ومنها بيان مقدار وجه الشبه، كما فى تشبيه الثوب الأبيض بالثلج فى شدّة البياض.

٤- ومنها تقرير حال المشبّه، وإثبات شأنه فى نفس السّامع، كما فى تشبيه من لا فائدة فى سعيه بمن يرقم على الماء.

٥- ومنها تزيين المشبّه فى عين السّامع للترغيب فيه، كما فى تشبيه وجه أسود بمقلة الظبى (سواد عين الظبى).

٦- ومنها تشويه المشبّه، أى تقبيحه للتنفير عنه، كما فى تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة (عذرة يابسة) قد نَقَرَتْها الديكة.

٧- ومنها استطرافه، أى عدّ المشبّه طريفًا، يعنى جديدًا بديعًا، كما فى تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لإبراز المشبه به فى صورة الممتنع عادةً، وإن كان ممكنًا عقلا.

والنوع الثانى من غرض التشبيه (وهو الذى يعود إلى المشبّه به) له ضربان : أحدهما : الإلقاء فى وهم السّامع أن المشبه به أتم من المشبه فى وجه الشبه، يعنى يوجد وجه الشبه فى المشبه به أكمل من المشبه، وذلك فى التشبيه المقلوب، وهو الذى يجعل فيه الناقص مشبهًا به قصدًا إلى ادّعاء أنه أكمل فى وجه الشبه، كما فى قول الشاعر :

وبدا الصّباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يمتدح

فإن الشاعر قصد إيهام السّامع بأن وجه الخليفة أتم من الصّباح فى الوضوح والضياء، حتى شبّه به الصباح، ومنه قوله تعالى : ﴿إنما البيع مثل الربوا﴾، فآكلوا الربا جعلوا البيع فرعًا ومشبهًا، والربا أصلا ومشبّهًا به، فردّ الله عليهم، وقال : ﴿أحلّ الله البيع وحرّم الربا﴾.

وثانيهما : بيان الاهتمام بالمشبّه به، كتشبيه الجائع الوجه الذى هو كالبدر

في الاستدارة والإشراق بالرغيف، فترك التشبيه بالبدر، والتشبيه بالرغيف دليل على اهتمامه بالرغيف، لغلبة الجوع، ويسمّى هذا التشبيه تشبيه إظهار المطلوب.

التمرين

١ - عرّف التشبيه، وبيّن مرتبته عند البلغاء.

٢ - اذكر أمثلة طرفي التشبيه إذا كانا حسّيين أو عقليين أو مختلفين، أو مفردين أو مركّبين.

٣ - أوضح محلّ الاستشهاد في قول الشاعر:

كأنّ محمرّ الشقيق ... إذا تصوّب أو تصعّد
أعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

٤ - أظهر وجه الشبه في قول الشاعر:

كأنّ النجوم بين دجاها ... سنن لاح بينهنّ ابتداع

٥ - كم قسمًا لوجه الشبه باعتبار كونه عين حقيقة الطرفين، أو جزءهما أو خارجًا عنهما؟

٦ - اذكر أنواع السبعة لوجه الشبه باعتبار كونه حسّيًا، أو عقليًا واحدًا أو متعددًا.

٧ - ما هو وجه التشبيه في قوله تعالى: ﴿مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارًا﴾؟

٨ - أبرز الفرق بين وجه الشبه المتعدد، ووجه الشبه المركّب.

٩ - اذكر الأنواع السبعة من غرض التشبيه مع ثلاثة أمثلة منها.

التقسيم الخامس لطرفى التشبيه باعتبار التقييد والإطلاق

وللتشبيه بهذا الاعتبار أربعة أقسام: الأول: أن يكونا مفردين مطلقين كما فى تشبيه الخدّ بالورد فى الحمرة والجمال.

أو يكونا مفردين مقيّدين، كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شيء: "هو كالقابض على الهواء" أو "كالراقم على الماء"، فإن المشبه هو الساعى الموصوف وهو مقيّد، لا مطلقًا، والمشبه به هو القابض على الهواء أو الراقم على الماء، ووجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم حصول الفائدة.

أو يكونا مختلفين، أى يكون أحدهما مقيدًا، والآخر مطلقًا، مثال المشبه به المقيّد والمشبه المطلق قول القائل: "الشمس كالمرآة فى كفّ الأشل" وعكسه مثل تشبيه المرآة فى كفّ الأشل بالشمس.

والثانى: أن يكونا مركْبين، بأن يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامّت وتلاصقت حتى صارت شيئًا واحدًا، مثاله قول البحترى:

ترى أحجاله[1] يصعدن فيه   صعود البرق فى الغيم الجهام

ومقصود الشاعر تشبيه الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين بالآخر، وهى مخالطة البياض بالسواد.

---

(١) الأحجال جمع حجل: وهو بياض فى رجل الفرس، والجهام: السحاب غير الماطر.

والثالث: أن يكون المشبّه مفردًا، والمشبه به مركّبًا، كما فى قول الشاعر:

كأنّ محمرّ الشقيق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

والرابع: أن يكون المشبّه مركّبًا، والمشبّه به مفردًا، كما فى قول أبى تمام:

يا صاحبىّ تقصّيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصوّر

تريا نهارًا مشمسًا قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر

يقول الشاعر: يا صاحبىّ اجتهدا فى النظر، وبلّغاه إلى الحد الأقصى تريا وجوه الأرض كيف تتصوّر وتظهر، وتريان نهارًا فيه الشمس، وقد خالط النهار مع الشمس أزهار الموضع المرتفع، فكأنما ذلك النهار فى قلّة ضوءه كليل مقمر.

التقسيم السادس للتشبيه باعتبار تعدد الطرفين

وله على هذا الاعتبار أيضًا أربعة أقسام:

١ - **التشبيه الملفوف**: وهو أن يؤتى بالمشبهين فصاعدًا، ثم بالمشبه بهما كذلك، كما فى قول امرئ القيس:

كأنّ قلوب الطير رطبًا ويابسًا لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقد شبّه رطب الطرى من قلوب الطير بالعناب، واليابس القديم منها بالحشف البالى (وهو أردأ التمر) فذكر المشبّهين أولا، والمشبه بهما ثانيًا على الترتيب.

٢- **والتشبيه المفروق**: وهو أن يؤتى بمشبّه ومشبّه به أولا، ثم بمشبّه ومشبّه به آخر ثانيًا، وهكذا، وسمّى مفروقًا؛ لعدم الاتصال بين التشبيهين، مثاله قول الشاعر:

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عَنَمْ

ففى هذا البيت ثلاثة تشبيهات: (١) تشبيه نشر الروائح الطيبة بالمسك (٢) وتشبيه وجوههنّ بالدنانير (٣) وتشبيه أطراف أكفّهن بالعنم (شجر أحمر اللون لينة الأغصان).

٣- **وتشبيه التسوية**: وهو أن يتعدد الطرف الأول (المشبّه) دون الطرف الثانى (المشبّه به) كقول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلئ

ففى الأول وجه التشبيه السواد، وفى الثانى الصفاء والبياض، كما أنّ المشبه فى كليهما متعدد والمشبّه به واحد.

٤- **وتشبيه الجمع**: وهو أن يتعدد الطرف الثانى -المشبّه به- دون الأول -المشبّه- كقول الشاعر:

بات نديما حتى الصّباح أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنّما يبسم عن لؤلؤ منضّد أو بَرَد أو أقاح[١]

وقد شبّه ثغر الممدوح (مقدّم أسنانه) بثلاثة أشياء: اللؤلؤ، والبَرَد، والأقاح، فالمشبّه واحد، والمشبّه به متعدد، أى كان الممدوح الأغيد فى الليل مع ندماءه وأصدقاءه حتى الصّباح حال كونه ضعيف الجسم، خصوصًا محلّ

---

(١) الأغيد: ليّن البدن، والمجدول: ضامر الخاصرتين والبطن، والوشاح: جلد يرصّع بالجواهر لشدّ الوسط، والبَرَد: حبّ الغمام، والأقاح: جمع أقحوان نوع من الورد.

شدّ الوشاح (الحزام) كأنّما يضحك عن أسنان هى كالأمور الثلاثة.

التقسم السابع للتشبيه باعتبار وجه الشبه

وله على هذا الاعتبار ستة أقسام: ١- الأول تشبيه التمثيل: وهو أن يكون وجه الشبه وصفًا مركّبًا ومنتزعًا عن متعدد، أى اثنين فصاعدًا، مثاله كما مرّ فى الأمثلة السّابقة من تشبيه الثريا بالعنقود، وتشبيه مثار النقع فوق الرؤوس، والأسياف بليل تهاوى كواكبه، وتشبيه المرآة فى كفّ الأشل بالشمس وعكسه.

٢- والثانى تشبيه غير التمثيل: وهو الذى ليس فيه وجه الشبه منتزعًا عن متعدد، كما فى تشبيه الشجاع بالأسد.

٣- والثالث التشبيه المجمل: وهو الذى لم يذكر فيه وجه الشبه، إمّا لأنه ظاهر يفهمه كل أحد، نحو زيد كالأسد؛ إذ لا يخفى على أحد أن المراد التشبيه فى الشجاعة، ويقال له: التشبيه الجلى، وإمّا لأنه خفى لا يدركه إلا من له عقل يرتفع به عن طبقة العامّة، ويقال له: التشبيه الخفى، نحو هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، يعنى هم متناسبون فى الكمال.

٤- والرابع التشبيه المفصّل: وهو الذى ذكر فيه وجه الشبه، كقول الشاعر:

وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلئ

فذكر وجه الشبه، وهو الصفاء والجودة والحسن، وكذلك قول الشاعر:

يا شبيه البدر فى الحسن وفى بعد المنال جد فقد تنفجر الصّخرة بالماء الزلال

٥- والخامس التشبيه القريب المبتذل: وهو الذى ينتقل الذهن فيه من

المشبّه إلى المشبّه به من غير تدقيق نظر؛ لظهور وجه الشبه فى بادى الرأى، كما فى تشبيه الجرّة الصّغيرة بالكوز فى المقدار والشكل.

٦ – والسادس التشبيه البعيد الغريب: وهو الذى لا ينتقل الذهن فيه من المشبّه إلى المشبّه به، إلا بعد فكر وتدقيق نظر، لخفاء وجه الشبه فى الظاهر، كما فى تشبيه الشمس بالمرآة فى كفّ الأشلّ، فإن الهيئة الانتزاعية -التى هى وجه الشبه- لا تحصل فى الذهن فى أوّل الأمر إلا بعد دقة النظر.

٧- وهنا نوع سابع: وهو التشبيه البليغ الذى لا يذكر فيه وجه الشبه، ولا أداة التشبيه، بل يجعل المشبّه مبتدأ، والمشبّه به خبرًا، نحو زيد أسد، أو لا يذكر فيه غير المشبّه به، كما فى قوله تعالى: ﴿صمّ بكم عمى فهم لا يرجعون﴾ أى هم كالصمّ والبكم والعمى فى عدم الانتفاع من الأدلة.

التقسيم الثامن للتشبيه باعتبار أداته

وهو بهذا الاعتبار على قسمين: مؤكد ومرسل.

١ – فالمؤكد: هو ما حذف فيه أداة التشبيه، كما فى قوله تعالى: ﴿وهى تمرّ مرّ السّحاب﴾ أى الجبال يوم القيامة تمرّ وتذهب مثل مرور السحاب، فحذف "مثل" تأكيدًا، ومن المؤكد ما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه، كما فى قول الشاعر:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى   ذهب الأصيل على لجين الماء[1]

"ذهب الأصيل" أى الوقت بين العصر والمغرب الذى هو كالذهب فى

(١) أى تميل الريح الغصون إلى الجوانب، وقد ظهر لون وقت العصر الذى كالذهب على الماء الصّافى الذى هو كالفضّة.

الصفرة، و لجين الماء أى الماء الذى هو كالفضة فى الصفاء والبياض، ففى هذين التركيبين تشبيه مؤكد.

٢ - والمرسل: هو الذى ذكر فيه أداة التشبيه، فكأنه صار مرسلا ومطلقًا من التأكيد المستفاد من حذف أداة التشبيه.

التقسيم التاسع باعتبار غرض التشبيه

وله على هذا الاعتبار أيضًا قسمان: مقبول ومردود.

١ - فالمقبول: هو الذى يكون وافيًا بإفادة غرض التشبيه، كأن يكون المشبّه به أعرف شىء بوجه الشبه فى بيان حال المشبّه بأنه على أىّ وصف من الأوصاف، كما فى تشبيه رجل بحاتم فى السخاء، أو بسحبان فى الفصاحة.

٢ - والمردود: هو الذى لا يكون كذلك، بل كان فيه خلل بإفادة غرض التشبيه، بأن لا يكون المشبّه معروفًا بالوصف الذى يوجد فى المشبّه به، كتشبيه رجل شجاع بغير الأسد من الحيوانات فى الشجاعة.

أعلى مراتب التشبيه وأرفعها

وقد سبق أن أركان التشبيه أربعة: المشبّه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجهه.

فالحاصل من مراتب التشبيه قوّةً وضعفًا باعتبار ذكر الأركان كلّها أو بعضها ثمانية: ١ - ذكر الأركان الأربعة كلّها، كقولك: زيد كالأسد فى

الشجاعة، ولا قوة لهذه المرتبة.

٢- ترك المشبّه، كقولك: كالأسد في الشجاعة، أي زيد، وهي مثل الأولى في عدم القوّة.

٣- ترك أداة التشبيه، كقولك: زيد أسد في الشجاعة، وفيها نوع قوة.

٤- ترك المشبّه وأداة التشبيه، كقولك: أسد في الشجاعة، أي زيد كالأسد، وهي كالثالثة في القوّة.

٥- ترك وجه الشبه، كقولك: زيد كالأسد، وفيها أيضاً نوع قوة لعموم وجه الشبه في الظاهر.

٦- ترك المشبّه ووجه الشبه، كقولك: كالأسد، أي زيد في الشجاعة، وهي كالخامسة في القوّة.

٧- ترك أداة ا لتشبيه ووجه الشبه، كقولك: زيد أسد، أي زيد كالأسد في الشجاعة، وهي أقوى من الجميع.

٨- ذكر المشبّه به فقط، كقولك: أسد، أي زيد، وهي كالسابعة في كونها أقوى الجميع، فأرفعها وأقواها السابعة والثامنة، وأضعفها الأولى.

التمرين

١ - كم قسمًا لطرفي التشبيه باعتبار التقييد والإطلاق، وباعتبار الإفراد والتركيب؟ اذكر الأقسام مع الأمثلة.

٢ - عرّف التشبيهات الأربعة -الملفوف، والمفروق، والتسوية، والجمع- وقدّم لها أمثلة.

٣- بيّن التشبيهات الآتية: التمثيل، والمجمل، والمفصّل، وقدّم لها مثالا أو استشهادًا.

٤ - وضّح الفرق بين التشبيه المؤكد والمرسل.

٥ - أظهر محلّ الاستشهاد في قول الشاعر:

والريح تعبث بالغصون وقد جرى   ذهب الأصيل على لجين الماء

٦ - مثّل للتشبيه المقبول، والمردود، وبيّن وجههما.

٧- ما هو الأقوى من مراتب التشبيه؟

بحث المجاز

وبما أن الأشياء تتبيّن بأضدادها ناسب ذكر تعريف الحقيقة، وأقسامها مع الأمثلة أوّلا.

١- **تعريف الحقيقة**: وهي في اللغة: فعيل بمعنى فاعل مأخوذ من "حقّ" إذا ثبت، أو بمعنى مفعول، من حقّقتُه إذا أثبتَّه، ثم نقل إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي (يعني في معناها الأصلي).

وفي الاصطلاح: الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاحٍ يقع به التخاطب.

٢- **فوائد القيود**: ١- فقوله: "المستعملة" احتراز عن كلمة لم تستعمل بعد؛ فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمّى حقيقةً ولا مجازًا.

٢- وقوله: "فيما وضعت له" احتراز عن شيئين: الأول عما استعمل في غير ما وضع له غلطًا، كما إذا أردتَ أن تقول لصاحبك: "خذ هذا الكتاب" مشيرًا إلى كتاب بين يديك، فغلطتَ وقلتَ: "خذ هذا الفرس" فلفظ "الفرس" لأجل استعماله في غير ما وضع له غلطًا ليس بحقيقة، كما هو الظاهر، ولا مجاز أيضًا؛ لعدم العلاقة بين الكتاب والفرس، ولعدم القصد أيضًا لأن الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع له قصدًا، والمجاز استعماله في غير ما وضع له كذلك.

والثاني: الاحتراز عن أحد قسمي المجاز، وهو ما استعمل في معنى لم يكن موضوعًا له في اصطلاح يقع به التخاطب والتكلم، ولا في غيره، كلفظ الأسد إذا استعمل في الرجل الشجاع؛ لأن وضع لفظ "الأسد

للرجل الشجاع لم يثبت فى لغة العرب، ولا فى غيرها، ويسمى هذا المجاز استعارة.

٣- وقوله: "فى اصطلاح يقع به التخاطب" احتراز عن القسم الآخر من المجاز، وهو ما استعمل فيما وضع له، لكن لا فى اصطلاح يقع به التخاطب، كلفظ "الصلاة" إذا استعمله المتكلم بعرف الشرع فى الدعاء، فإنه يكون مجازًا، وإن كان عند المتكلم بعرف ا للغة حقيقةً فى الدعاء.

أقسام الحقيقة

ثم الحقيقة على أربعة أقسام: ١- حقيقة لغوية: وهى التى وضعها أهل اللغة -مثالها لفظ "أسد" إذا استعمله أهل اللغة فى السبع المخصوص.

٢- وحقيقة شرعية: وهى التى وضعها أهل الشرع، نحو لفظ "صلاة" إذا استعمله أهل الشرع فى العبادة المخصوصة.

٣- وحقيقة عرفية عامّة: وهى التى وضعها ا لعرف العام، مثل لفظ "دابّة" إذا استعمله أهل العرف العام فى ذوى القوائم الأربع.

٤- وحقيقة عرفية خاصة: وهى التى وضعها العرف الخاصّ، كعرف علماء النحو وعلماء الكلام، نحو لفظ "فعل" إذا استعمله النحوى فى الكلمة الدالة على المعنى بنفسها مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة، ولفظ "الدور" إذا استعمله المتكلم فى توقف الشىء على نفسه.

تعريف المجاز وأقسامه

والمجاز في اللغة: مَفعَل من جاز المكان يجوزه إذاذ تعدّاه، فالمجاز كلمة تجاوزت عن معناها الأصلى.

وفى الاصطلاح: هو لفظ استعمل فى غير ما وضع له لقرينةٍ، وهو على قسمين: مجاز مفرد، ومجاز مركّب.

١- **تعريف المجاز المفرد**: وهو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح يقع به التخاطب مع عدم إرادة ما وضعت له.

فوائد القيود: ١- فقوله: "المستعملة" احتراز عما لم يستعمل، لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمّى حقيقةً ولا مجازًا.

٢- وقوله: "فى اصطلاح يقع به التخاطب" ليدخل فى المجاز لفظ "الصّلاة" إذا استعمله المخاطِب (المتكلم) بعرف الشرع فى الدعاء، فإنه مجاز عنده لأنه وإن كان مستعملا فيما وضع له عند أهل اللغة، ولكن لين بمستعمل فيما وضع له فى اصطلاح الشرع الذى وقع به التخاطب.

٣- وقوله: "مع عدم إرادة ما وضعت له" احتراز عن الكناية، فإنها كلمة مستعملة فى غير ما وضعت له مع جواز إرادته.

٢- تعريف المجاز المركّب: وهو اللفظ المركّب المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصلى تشبيه التمثيل مبالغةً فى التشبيه، والمراد بـ "تشبيه التمثيل" تشبيه إحدى الصورتين المنتزعتين -من أمرين أو أمور- بالأخرى، ثم إدخال الصورة المشبّهة فى جنس الصورة المشبّهة بها مبالغةً فى التشبيه، فتذكر المشبّهة بلفظ المشبّهة بها من غير تغيير.

مثاله: ما كتب الوليد بن يزيد -لما بويع- إلى مروان بن محمد، وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له، "أمّا بعد: فإنّي أراك تقدّم رجلا وتؤخّر أخرى، فإذا أتاك، كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئتَ، والسّلام".

شبّه صورة تردّده في البيعة بصورة تردّد من قام ليذهب في أمرٍ، فتارةً يريد الذهاب فيقدّم رجلا، وتارةً لا يريد فيؤخّر أخرى، فاستعمل في الصورة الأولى (وهي التردّد في البيعة) الكلام الدال بالمطابقة على الثانية (وهي التردّد في الذهاب).

ووجه الشبه هو الإقدام مرةً والإنكار أخرى، ويذكر البلغاء المجاز المركب باسمين: ١- التمثيل على سبيل الاستعارة (لأجل ذكر المشبّه به فيه وإرادة المشبّه كما هو شأن الاستعارة).

٢- والتمثيل مطلقًا من غير تقييد بقولهم: "على سبيل الاستعارة" لكون وجه الشبه فيه منتزعًا عن متعدد، وقد يعبّرون عنه بـ"المَثَل" إذا كثر استعماله على سبيل الاستعارة، وهذا اسمه الثالث.

أقسام المجاز المفرد: ولا بد للمجاز من علاقة بين المعنى الموضوع له وغير الموضوع له، فبهذا الاعتبار هو على قسمين: مجاز مرسل، ومجاز مستعار.

فالمجاز المرسل: هو الذي كانت العلاقة المصحّحة (بين المعنى الحقيقي والمجازي) فيه غير التشبيه، أي لا يكون استعمال اللفظ في غير ما وضع له لأجل التشبيه، بل لعلاقة أخرى غير التشبيه، كما في ذكر الكل وإرادة الجزء.

والمجاز المستعار: هو الذي كانت العلاقة فيه المشابهة بين المعنى الحقيقي والمجازي، كما في ذكر الأسد وإرادة الرجل الشجاع.

العلاقات في المجاز المرسل: ١- السببيّة أي ذكر السبب وإرادة المسبب كما في قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾ أي بقدرة خاصّة (عند من يؤوّل

اليد) وكذا في قول القائل : "كثرت أياديه لدى" أى نعمه، فإن اليد سبب لإظهار القدرة والنعمة، وكذا عكسه.

٢- وذكر المحل وإرادة الحال، كما في ذكر الراوية (البعير الذى يحمل عليه الماء والمزادة) وإرادة المزادة (وعاء الزاد والطعام للمسافر) فالبعير محل، والمزادة حال، فالعلاقة هي الحالية والمحلية.

٣- والكلية والجزئية، أى ذكر الكل وإرادة الجزء، أو عكسه، كما فى ذكر الأصابع وإرادة الأنامل فى الآية : ﴿يجعلون أصابعهم فى آذانهم﴾، وفى ذكر العين وإرادة الجاسوس، ففى الأول ذكر الكل وإرادة الجزء، وفى الثانى عكسه.

٤- وتسمية الشيء باعتبار سابقه، نحو قوله تعالى : ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ أى آتوا الذين كانوا أيتامًا قبل دفع الأموال، إذ لا يتم بعد البلوغ.

٥- وتسمية الشيء باسم ما يؤول إليه فى المستقبل، كما فى قوله تعالى : ﴿إنى أرانى أعصر خمرًا﴾ أى عصير العنب الذى يؤول، ويرجع إلى الخمر.

٦- وتسمية الشيء باسم آلته، نحو قوله تعالى : ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ أى اجعل لى ذكرًا حسنًا فى الآخرين، فإن اللسان آلة الذكر.

تعريف الاستعارة وأركانها

وهى فى اللغة: طلب الشيء عاريةً.

وفى الاصطلاح: هى اللفظ المستعمل فى معنى شبّه بمعناه الأصلى (الحقيقى) لعلاقة المشابهة، مثاله : كلفظ "أسد" فى قولنا : رأيت أسدًا يرمى،

فلفظ "الأسد" استعمل فى الرجل الذى يشبه السبع المخصوص فى الشجاعة، والقرينة هو لفظ "يرمى".

أركان الاستعارة: وأركانها أربعة: مستعار منه وهو المشبه به، ومستعار له وهو المشبّه، ومستعار وهو لفظ الدال على المشبه به المستعمل فى المشبّه، ومستعير وهو المتكلم الذى يستعير اللفظ عن معنى لمعنى آخر، ففى قولنا: "رأيت أسدًا يرمى" الحيوان المفترس مستعار منه، والرجل الشجاع مستعار له، ولفظ "أسد" مستعار والمتكلم مستعير، ولفظ "يرمى" قرينة.

١- **الاستعارة التحقيقية**: وإذا كان المعنى المستعار حقيقةً حسّية (يشار إليها بالحسّ) أو حقيقة عقلية (تدرك بالعقل) تسمّى الاستعارة تحقيقيةً، مثال الحقيقية الحسّية قول الشاعر:

لدىّ أسد شاكى السلاح مقذف .

أى عندى رجل شجاع تام السّلاح قد قذف وألقى فى الحروب والوقائع، يعنى له خبرة وتجربة عند الحوادث، فلفظ "أسد" استعير للرجل الشجاع، وهو أمر متحقق حسّا، حتى يشار إليه بالإشارة الحسّية، ويقال: هذا الرجل.

ومثال الحقيقة العقلية قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أى اهدنا إلى الدين الحق وهو ملّة الإسلام، والدين الحق أمر عقلى وحقيقة عقلية يُدرك بالعقل، ولذا يقبله العقول السليمة ويردّه العقول السخيفة، ولأجل أن الاستعارة هو تشبيه المعنى المجازى بالحقيقى، ثمّ استعمال اللفظ فى المعنى المجازى، لا يطلق الاستعارة على الأمثلة الآتية: "زيد أسد" و "رأيت زيدًا أسدًا" و "مررت بزيد أسد" لأن لفظ "أسد" فى هذه الأمثلة استعمل فى معناه الحقيقى، وهو الحيوان المفترس، ولكن شبّه به زيد، فليس المراد من الأسد الرجل الشجاع حتى يكون استعارةً.

شرط الاستعارة: ومن شرطها أن لا يكون الاسم المستعار علمًا؛ لأن مبنى الاستعارة على ادّعاء دخول المشبّه (المعنى المجازى) فى جنس المشبّه به (هو المعنى الحقيقى) فإذا كان المعنى الموضوع له علمًا وجزئيًا، فكيف يكون جنسًا؟ حتى يكون له فرد متعارف وغير متعارف.

أنواع القرينة فى الاستعارة: وبما أن الاستعارة نوع من المجاز لابدّ لهما من قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له، فتلك القرينة على ثلاثة أقسام: (١) إمّا تكون أمرًا واحدًا كما فى قولك: "رأيت أسدًا يرمى"، فإن القرينة فيه -وهى يرمى- أمر واحد.

(٢) وإمّا تكون أكثر، أى أمورًا متعددة غير مربوطة بعضها ببعض، بل يكون كل واحد منها بانفراده قرينة للمجاز، كقول الشاعر:

فإن تعافوا العدل والإيمانا فإن فى أيماننا نيرانا

أى إن كرهتم التوحيد والإيمان فنلجئكم إلى الحرب والطاعة؛ فإن فى أيدينا سيوفًا لامعةً كالنار، فالاستعارة فى لفظ "نيرانًا" حيث أريد به السيوف، والقرينة أمران: كراهة العدل والتوحيد، وكراهة الإيمان، فهما قرينتان على أن المراد بالنيران السّيوف، فإن الجهاد بالسيف إنما يكون بعد العناد والإنكار عن الإيمان.

(٣) وإمّا تكون معانى متعددة ملتئمة ومربوطة بعضها ببعض، بأن الجميع قرينة، لا كلّ واحد منها بانفراده، كقول الشاعر:

وصاعقة من نصله تنكفى بها على أرؤوس الأقران خمس سحائب

أى ربّ نار من حدّ سيف الممدوح تقلّب تلك النار أنامله الخمس التى هى كالسّحاب فى الجود وعموم العطايا على رؤوس الأعداء، أى يصبّ الصّاعقة على أكفاءه فى الحرب فيهلكهم بتلك النار، عنى الشاعر بـ "خمس سحائب" أنامل الممدوح، يعنى استعار السحائب لأنامل الممدوح، فذكر أنّ

هناك صاعقة تناسب السّحاب، ثم ذكر أنها من نصل سيفه (حدّ سيفه) ثم قال: على رؤوس الأقران (الأعداء) وذكر فى الآخر عدد الخمس الذى هو عدد الأصابع، فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الأنامل.

التمرين

١ - عرّف الحقيقة لغةً واصطلاحًا، ثمّ بيّن فوائد قيود التعريف.

٢ - عرّف المجاز المفرد مع بيان فوائد قيود تعريفه.

٣- بيّن مفهوم المجاز المركّب مع ذكر معنى تشبيه التمثيل.

٤ - كم قسمًا للمجاز المفرد؟ وما هو الفرق بين المجاز المرسل والمستعار؟

٥ - عرّف الاستعارة، ثم مثّل لها؟ .

٦ - اذكر أربعة أمثلة للمجاز المرسل مع بيان العلاقة فيها.

٧- بيّن محل المجاز المرسل والعلاقة فى هذه الآية: ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾.

٨- ما هى الاستعارة التحقيقية؟ مثّل لها بعد تعريفها.

٩ - اذكر أنواع القرينة فى الاستعارة بعد ذكر شرط الاستعارة.

١٠ - ما هى القرينة على الاستعارة فى قول الشاعر:

وصاعقةٍ من نصله تنكفى بها على أرؤوس الأقران خمس سحائب

التقسيمات السبعة للاستعارة

١- **التقسيم الأول**: باعتبار الطرفين[١]، وهى بهذا الاعتبار على قسمين: وفاقية وعنادية.

١- فالوفاقية: هى التى كان اجتماع الطرفين فيها فى شىء واحد ممكنًا، كما فى قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾ أى ضالا فهديناه، وقد استعير لفظ "الإحياء" من معناه الحقيقى -وهو جعل شىء حيًا- للهداية التى هى الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب، ولا شك أن الهداية والحياة يمكن اجتماعهما فى شخص واحد، وإنما سمّيت وفاقية لما بين المعنيين من الاتفاق فى الاجتماع فى محل واحد.

٢- والعنادية: هى التى لا يمكن اجتماع الطرفين فيها فى شىء واحد، كاستعارة اسم المعدوم للموجود إذا لم تحصل من الموجود فائدة من الفوائد المطلوبة منه، كما يقال: لما ذا زيد لم يفعل كذا؟ فيقال فى الجواب: هو معدوم، أى ليس لوجوده فائدة، أو استعارة اسم الموجود للمعدوم إذا حصل من عدمه فائدة مثل وجوده، كما يقال فى مدح من مات وترك أعمالا خيرية: هو موجود، أى فى حصول الفائدة من أعماله، وسمّيت عنادية للعناد بين المستعار منه والمستعار له.

٢- **التقسيم الثانى باعتبار الجامع (وجه الشبه)**: وهى بهذا الاعتبار أيضًا على قسمين: ما يكون وجه الشبه -فيه- داخلا فى مفهوم الطرفين، وما يكون وجه الشبه -فيه- خارجًا عنه.

---

(١) المعنى الحقيقى والمجازى.

مثال الأول قوله عليه السلام: «خير الناس رجل يمسك بعنان فرسه كلّما سمع هيعةً طار إليها» الهيعة: الصحيحة التى يفزع الناس منها، فاستعار النبى ﷺ الطيران للعدو، فالمستعار له عدو الفرس، والمستعار منه طيران الطائر، والجامع -هو قطع المسافة بسرعة- داخل فى مفهوم العدو والطيران إلا أنه فى الطيران أقوى منه فى العدو.

ومثال الثانى: كالشجاعة فى استعارة الأسد للرجل الشجاع، فإن "الشجاعة" خارج عن مفهوم الأسد والرجل.

٣- التقسيم الثالث با عتبار إدراك العامة والخاصة وجه الشبه: ولها على هذا الاعتبار ضربان: عامّية وخاصّة.

فالعامّية: هى التى يدرك وجه الشبه فيها عامّة الناس، كقولك: "رأيت أسدًا يرمى" فإن كل من يسمع هذا الكلام يدرك أن وجه الشبه هى الشجاعة، ويقال لها: الاستعارة المبتذلة؛ لكثرة ابتذالها واستعمالها، وكذلك فى قولك: رأيت بحرًا أن رجلا كالبحر فى السخاء، فإن كلّ أحد يدرك وجه الشبه فيها.

والخاصّة: هى الغريبة التى لا يطّلع على وجه الشبه فيها إلا الخاصّة الذين لهم ذهن ثاقب قد ارتفعوا عن طبقة العامّة، كما فى قول الشاعر:

وإذا احتبى قربوسه بعنانه علَكَ الشكيم إلى انصراف الزائر

أى إذا وضع (الراكب) عنان ذلك الفرس على مقدم سرجه وقف الفرس، ومضغ حديدة اللجام إلى أن يعود الزائر الراكب إليه، وقد شبّه هيئة وقوع اللجام فى موقعه من قربوس السرج بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبتى المحتَبِى إلى جانب ظهره، ثم استعار الاحتباء -وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب- لوقوع العنان فى مقدم السرج، فصارت الاستعارة غريبة لغرابة ذلك التشبيه.

٤ – التقسيم الرابع باعتبار الثلاثة (الطرفين ووجه الشبه): وبهذا الاعتبار للاستعارة ستة أقسام: (١) استعارة محسوس لمحسوس ووجه الشبه أيضًا حسّى، كما فى قوله تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلا جسدًا له خوار﴾ فالمستعار منه ولد البقرة، وهو محسوس، والمستعار له هو الجسم الذى صنعه السامرى من حلىّ القبط، وهذا أيضًا محسوس، ووجه الشبه -وهو الشكل الخاص بالعجل- أيضًا حسّى، فالثلاثة كلّها (المستعار منه والمستعار له والجامع) حسّية.

(٢) والثانى: استعارة محسوس لمحسوس والوجه عقلى، مثاله قوله تعالى: ﴿وآية لكم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾، فالمستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل، وهما حسّيان، ووجه الشبه هو ترتّب أمر على آخر كترتّب ظهور اللحم على كشط الجلد، وترتّب ظهور الظلمة على إزالة الضوء عن مكان الليل.

(٣) والثالث: أن يكون وجه الشبه متعددًا، ويكون بعضه حسّيا وبعضه عقليًا، كقولك: "رأيت شمسًا، وأنت تريد إنسانًا هو مثل الشمس فى أمرين: فى حسن الطلعة والجمال، وفى نباهة الشأن والكمال، فحسن الطلعة حسّى، ونباهة الشأن عقلى، والمستعار منه الشمس، والمستعار له إنسان وهما حسّيان.

(٤) والرابع: استعارة معقول لمعقول، والوجه عقلى، كما فى قوله تعالى: ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾، فالمستعار منه الرقاد -النوم- والمستعار له الموت، والجامع -وجه الشبه- هو عدم ظهور الأفعال، والثلاثة عقلية.

٥- والخامس: استعارة محسوس لمعقول، والوجه عقلى، كما فى قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فإن المستعار منه صدع الزجاجة، أى كسرها،

وهو محسوس، والمستعار له تبليغ الرسالة وهو عقلى، والوجه (وجه الشبه) التأثير، وهو أيضًا عقلى، كأنّه قيل لرسول الله ﷺ أبِنْ أمر الله إبانةً لا تنمحى، كما لا تلتئم كسر الزجاجة المكسورة.

٦- والسادس: استعارة معقول لمحسوس والوجه عقلى، مثاله قوله تعالى: ﴿إنّا لـمّا طغى الماء حملناكم فى الجارية﴾، فإن المستعار له كثرة الماء، وهو محسوس، والمستعار منه التكبّر وهو عقلى، والجامع (وجه الشبه) الاستعلاء المفرط، وهذا أيضًا عقلى.

التقسيم الخامس باعتبار لفظ "المستعار"

وهى بهذا الاعتبار على قسمين: أصلية وتبعية. فالاستعارة الأصلية: هى التى كان لفظ المستعار فيها اسم جنس حقيقةً، كلفظ "الأسد" أو تأويلا، كالأعلام التى أريد بها الأوصاف المشهورة، مثل حاتم إذا أريد منه الجوّاد، وسحبان إذا أريد منه الفصيح، مثالها: كاستعارة "الأسد" للرجل الشجاع فى استعارة اسم عينٍ لعين أخرى، وكاستعارة القتل للضرب الشديد فى استعارة اسم معنى لمعنىً آخر.

والاستعارة التبعية: هى التى لا يكون فيها لفظ المستعار اسم جنس، بل إنّما يكون فعلا أو اسمًا مشتقًا أو حرفًا.

وإنما يقال لهذه الاستعارة: تبعية؛ لأن الاستعارة فى الأفعال والمشتقات إنما تكون فى مصادرها التى هى أسماء أجناس أولا، وفى نفس الأفعال والمشتقات ثانيًا وتبعًا، وكذا الحروف إنما تكون الاستعارة فى متعلقات معانيها أولا وفيها ثانيًا.

متعلقات معانى الحروف: هى المعانى الكلية التى يكون معانى الحروف من جزئياتها، مثل ابتداء الغاية، وانتهاء الغاية، والظرفية، والغرض، فهذه كلّها مفاهيم كلية، ومعنى "من" و "إلى" و "فى" و "لام كى" جزئيات لتلك المفاهيم، فتكون الاستعارة فى الابتداء (مثلا) أولا، وفى معنى "من" ثانيًا، ففى الابتداء الاستعارة أصلية، وفى "من" تبعية.

أمثلة الاستعارة فى الفعل والمشتق:

١- ففى "نطقت الحال بكذا" أو "الحال ناطقة بكذا" جعل دلالة الحال على شىء مشبّهًا، والنطق مشبّهًا به، وإيضاح المعنى وإيصاله إلى الذهن وجهَ الشبه، ثم استعير لفظ "النطق" الذى هو مصدر للدلالة، ثمّ اشتق من ذلك "النطق" لفظ "نطقت" أو ناطقة (الأول للفعل والثانى للمشتق وهو اسم الفاعل) فهذا هو معنى كون الاستعارة تبعيةً فى الفعل والمشتق.

٢- وكذا فى قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَنًا﴾ استعير "لام العلة الغائية" (فى ليكون) للعداوة والحزن بعد تشبيهما بعلة الالتقاط (وهى المحبّة والتبنّى) ووجه الشبه هو الترتّب والحصول بعد الالتقاط (يعنى حصل بعد الالتقاط له عداوة وحزن كحصول المحبّة والتبنّى) وكان حق ذلك اللام أن يستعمل فى العلّة الغائية (كما هو وضعه) ولكن استعمل فى العداوة والحزن لأجل التشبيه، فتكون الاستعارة فى العلة أصليةً وفى اللام تبعية.

التقسيم السادس

باعتبار الاقتران بما يلائم الطرفين وعدمه

وهي بهذا الاعتبار على ثلاثة أقسام : مطلقة ومجرّدة ومرشّحة.

١- فالاستعارة المطلقة: هى التى لم تقترن بشىء يلائم المستعار له أو المستعار منه، أى لم يكن هناك شىء من تتمة الكلام الذى فيه استعارة، نحو عندى فى المسجد أسد.

٢- والمجردة: هى التى اقترنت بما يلائم المستعار له، كقول الشاعر :

غمر الرداء تبسّم ضاحكًا   غُلقت لضحكته رقاب المال

أى الممدوح كثير العطاء، فإذا شرع فى الضحك كأنه غُلِقت رقاب أمواله فى أيدى السّائلين، أى لا يستطيع أن يمنع السّائلين عن أخذ أمواله.

وقد استعار الشاعر الرداء للعطاء، فالمشبّه العطاء، والمشبّه به الرداء، ووجه الشبه الصيانة ؛ لأن العطاء يصون عرض صاحبه، كما أن الرداء يصون لابسه عما يضرّه، ففى وصف الرداء بالغمر (السعة) الذى يناسب العطاء دليل على تجريد الاستعارة، والقرينة سياق الكلام أعنى قوله : "إذا تبسّم ضاحكًا" فإنه يدل على أن المراد بالرداء العطاء، لا الثوب الذى هو المعنى الحقيقى له، وهذا يلائم المستعار له، وسمّيت مجرّدةً لخلوها عمّا يقوى الاستعارة من الإطلاق والترشيح.

٣- والمرشحة: هى التى اقترنت بما يلائم المستعار منه، كقوله تعالى : ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾ فقد استعير الاشتراء للاستبدال واختيار الضلالة، ثمّ فرّع على الاستعارة ما يلائم

الاشتراء (المستعار منه) من الربح والتجارة، مثال اجتماع المجردة والمرشحة قول الشاعر:

لدى أسد شاكى السّلاح مقذّف ... له لبـــد أظفـــاره لـم تقلّم

وقد استعار الشاعر الأسد للرجل الشجاع، ففى قوله: "لدى أسد شاكى السّلاح" تجريد؛ لأنه وصف بما يلائم المستعار له؛ لأن التام السلاح إنما يكون الرجل، وكذلك المقذَّف والمرمى فى الحروب والوقائع إنما يكون الرجل الشجاع، وفى قوله: "له لبد أظفاره لم تقلّم[(١)]" ترشيح لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه، أعنى الأسد الحقيقى، ويقال لهذه الاستعارة: مجردة ومرشّحة.

الاستعارة التصريحية
والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية

وهذا تقسيم سابع للاستعارة باعتبار ذكر المشبه به، أو ذكر ما يخصّ به مع المشبّه، ولها على هذا الاعتبار ثلاثة أقسام: مصرّحة ومكنيّة وتخييلية.

١- فالمصرّحة: هى التى صُرّح فيها بذكر المشبّه به، كقول الشاعر:

فأمَطَرت لؤلؤًا من نرجس وسقت ... وردًا وعضّت على العناب بالبَرَد

شبه الدموع باللؤلؤ، والعيون بالنرجس، والخدود بالورد والأنامل بالعناب، والأسنان بالبرد، ففى كل منها ذكر المشبّه به وأريد المشبه، فلأجل التصريح بالمشبّه به فيها تسمّى تصريحية أو مصرّحة، كما تسمّى استعارة

---

(١) اللبد: جمع لبدة، وهى ما كثر من شعر منكبى الأسد، والتقليم لغةً: القطع.

تحقيقية لكون المشبّه به حقيقة حسّية أو عقلية.

٢- **والمكنية**: هى أن يضمر المتكلم التشبيه فى نفسه فلا يصرّح بشىء من أركانه سوى المشبّه، ثم يثبت شيئًا من خواص المشبّه به للمشبّه المذكور، ويسمّى ذلك التشبيه استعارة بالكناية (لعدم التصريح بالتشبيه والاكتفاء بذكر لوازمه التى تدل عليه كناية).

٣- **والتخييلية**: هى إثبات لوازم المشبه به للمشبّه (من غير ذكر المشبه به) فإثبات الأمر اللازم للمشبّه به للمشبّه يسمّى استعارة تخييلية؛ للإيقاع فى خيال السّامع أن المشبّه فرد من جنس المشبّه به؛ لوجود لازمه فيه، مثالهما قول الشاعر:

وغداة ريح قد كشفتُ وقرّة   إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

حاصل معنى الشعر: أنّى كشفتُ وأزلتُ البردَ عنهم بإيقاد النار وذبح الجزور فى غداة فيها ريح وبرد شديد، حينما كان زمام البرد بيد ريح الشمال.

فتشبيه الشمال بالإنسان بعلاقة التصريف (لأن الشمال تُصرّف البَرد، والإنسان يصرّف زمام ما تحت يده) استعارة بالكناية، وإثبات اليد التى هى من خواص ولوازم الإنسان المشبّه به استعارة تخييلية، لتخييل أن الشمال فرد من أفراد الإنسان، وكذا قول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها   ألفيتَ كلّ تميمة لا تنفع

فتشبيه المنية بالسبع فى النفس استعارة بالكناية، وإثبات الأظفار اللازمة للسبع للمنية استعارة تخييلية، ووجه الشبه القهر والغلبة.

التمرين

١- عرّف الاستعارة الوفاقية والعنادية، ثم اذكر لهما مثالا.

٢- اذكر محلّ الاستشهاد في قوله عليه السلام: «خير الناس رجل يمسك بعنان فرسه كلّما سمع هيعة طار إليها».

٣- ما هي الاستعارة العامّة والخاصّة؟ مثّل لهما.

٤- عين محلّ الاستشهاد بهذه الآية: ﴿فأخرج لهم عجلا جسدًا له خوار﴾.

٥- اذكر مثالا لاستعارة محسوس لمحسوس، والوجه عقلي.

٦- عيّن نوع الاستعارة في قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾.

٧- وما هما الاستعارة الأصلية والتبعية؟

٨- وضّح متعلقات معاني الحروف بالأمثلة.

٩- عرف الاستعارات الثلاثة: المطلقة، والمجردة، والمرشحة، وقدم لها أمثلة.

١٠- بيّن الاستعارة التصريحية والمكنية والتخييلية.

بحث الكناية

مفهوم الكناية لغةً واصطلاحًا: أمّا لغةً: فهو ترك التصريح بشىء، تقول: كنيتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به.

وأمّا اصطلاحًا: فهو لفظ أريد به لازم معناه الموضوع له مع جواز إرادته، كقولك: فلان طويل النجاد (حمائل السيف) أى طويل القامة، فإن طول القامة لازم لطول النجاد، ومع ذلك جاز إرادة طول النجاد نفسه، بخلاف المجاز، حيث لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقى مع المعنى المجازى، لأن القرينة فى المجاز مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له.

ففى قولك: "فى الحمام أسد" لا يجوز إرادة الحيوان المفترس مع استعمال "الأسد" فى الرجل الشجاع؛ لأن القرينة -فى الحمام- مانعة عنها.

أقسام الكناية من حيث المكنى عنه

وهى على ثلاثة أقسام: الكناية فى الصفة، والكناية فى الموصوف، والكناية فى النسبة.

١- الكناية عن الصفة: هى التى يكون المطلوب بها صفةً فقط (أى لا موصوفًا ولا نسبةً) بل يذكر الموصوف ويراد به الصفة، مثالها كقولهم: طويل النجاد" كناية عن طويل القامة، فإنه لا يراد منه نفس الرجل الذى هو موصوف، ولا نسبة طول النجاد إليه، بل المراد طول قامته، وهو صفة له.

أقسام الكناية عن الصفة: وهى على قسمين: قريبة وبعيدة.

فالقريبة : هى التى (١) إمّا يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بسهلا واضحًا، أى بلا واسطة كقولهم كنايةً عن طول القامة : "طويل النجاد" وقول الحماسى :

أبت الروادف والثدى لقمصها مسّ البطون وأن تمسّ ظهورا

كنى الشاعر عن كِبر الأعجاز ونهود الثدى بارتفاع القميص عن أن يمسّ بطنًا وظهرًا، وهذا من بديع الكناية، (٢) أو يكون الانتقال فيها إلى المطلوب غير واضحة، بل يحتاج الانتقال إلى التأمل وإعمال الفكر، كقولهم كنايةً عن الأبله : "هو عريض القفا" فإن عرض القفا إذا أفرط دل على الغباوة، ولكن فى الانتقال منه إلى البلاهة نوع خفاء.

والكناية البعيدة: هى التى كان الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة فصاعدًا، كقولهم كنايةً عن المضياف (كثير الاهتمام بالضيوف) : "هو كثير الرماد" فإن الذهن ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود، وهو المضياف، ومن هذا القبيل قول الشاعر :

لعبد العزيز على قومه وغيرهم منن ظاهره

فبابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامره

وكلبك آنس بالزائرين من الأم بالابنة الزائره

٢ - **والكناية عن الموصوف**: هى التى يكون المطلوب بها موصوفًا، وهى أيضًا على قسمين : الأول : أن يذكر صفة واحدة (من الصفات الموجودة فى الموصوف) وأريد بها نفس الموصوف، ولكن بشرط اختصاص تلك الصفة به حتى ينتقل الذهن منها إلى الموصوف، مثاله قول الشاعر :

الضّاربين بكلّ أبيض مِخذم والطاعنين مجامع الأضغان

أى أمدح الضاربين بكلّ سيف لمّاع قاطع، وأمدح الطاعنين بالرماح

قلوب الأعداء التى هى مركز العداوة.

فأراد الشاعر بالصّفة الواحدة (مجامع الأضغان) الموصوف، وهو القلوب التى هى محل الطعن بالرماح.

والثانى: أن يذكر معان (صفات) متعددة، وأريد بها الموصوف، كقولهم فى الكناية عن الإنسان: "حيّ مستوى القامة، عريض الأظفار" فإن هذه الصّفات مجموعها مخصوصة بالإنسان، فتكون كنايةً عن موصوفها، وهو الإنسان.

٣- والكناية عن النسبة: هى التى يكون المطلوب بها نفس النسبة، أى إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه، يعنى لا يكون المطلوب بها الصفة أو الموصوف فقط، بل نسبة الصفة إلى الموصوف إيجابًا أو سلبًا، مثالها كقول الشاعر:

إنّ السماحة والمروءة والندى في قبّة ضربت على ابن الحشرج

فإن الشاعر أراد أن يَجعَلَ هذه الصفات خصالا للممدوح، لكنّه لم يصرّح بذلك، بل عدل إلى ما أنت تراه، فجعلها فى قبّة مضروبة عليه، ليمكنه أن يثبتها للممدوح بطريق الكناية، لأنه إذا أثبتَ الشيء فى مكان الرجل فقد أثبتَ له.

ونظير هذا البيت قولهم: "المجد بين ثوبيه" و "الكرم بين برديه" هذا مثالها فى الإثبات، وأما فى النفى فمثالها قوله ﷺ: «المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده» فإنه كناية عن نفى نسبة الإسلام عمن يؤذى المسلمين بلسانه ويده.

أقسام الكناية باعتبار تفاوت الوسائط

وتنقسم الكناية بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام: تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء- إشارة.-

١ - فالتعريض: عبارة عن كون الكناية مسوقةً لأجل موصوف غير مذكور؛ لأن التعريض فى اللغة: إمالة الكلام إلى عُرض (جانب) يدل على المقصود، كما تقول: "عرّضت لفلان أو بفلان" إذا قلت له قولا وأردتَ غيره كأنك أشرت إلى جانب وأردت جانبًا آخر، فميلان الكلام عن جانب إلى جانب آخر يدل على مقصود المتكلم هو التعريض اصطلاحًا، ومثاله ما مرّ من الحديث: «المسلم من سلم المسلمون» الحديث.

٢- والتلويح: فى اللغة: أن تشير إلى غيرك من بعيد، وفى الاصطلاح: هو أن يكثر الوسائط بين اللازم والملزوم فى الكناية، كما فى "كثير الرماد، وجبان الكلب"، فإنهما تلويحان إلى الجود والسخاء بعد الوسائط الكثيرة.

٣- والرمز: فى اللغة: الإشارة بالشفة أو الحاجب، وفى الاصطلاح: أن تشير إلى قريب منك على سبيل الإخفاء، فإذا قلّت الوسائط مع خفاء اللزوم كما فى "عريض القفا" و "عريض الوسادة" (فى الكناية عن الأبله) تسمّى الكناية رمزا؛ لأجل الخفاء فى اللزوم كما فى قول الشاعر:

رمزت إليّ مخافةً من بعلها ... من غير أن تبدى هناك كلامها

٤- والإيماء -الإشارة-: هى كناية قلّت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم، وكانت واضحة الدلالة على المطلوب، كما فى قول الشاعر:

أو ما رأيتَ المجد ألقى رحله   في آل طلحة ثم لم يتحوّل

فإلقاء الرحل كناية عن وجود المجد فى مكانهم ووجوده فيه كناية عن نسبته إليهم.

مراتب المجاز والاستعارة والكناية عند البلغاء

قد اتفقت كلمة البلغاء على (١) أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح؛ لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم أو عكسه، فهو كدعوى الشيء ببيّنة، لأنك إذا قلت: "زيد طويل النجاد" كأنك قلت: لأنه طويل القامة، وكذلك فى قولك: رأيت أسدًا فى المسجد، كأنك قلتَ: لأنّه شجاع، أى عبّرتُ عنه بالأسد لأجل شجاعته.

(٢) وعلى أن الاستعارة أبلغ من التشبيه، ومن المجاز المرسل؛ لما فى الاستعارة من دعوى الاتحاد بين المستعار منه والمستعار له، واستعمال لفظ المستعار منه للمستعار له.

(٣) وعلى أن الاستعارة -تمثيليةً كانت أو مكنيةً أو غيرهما- أبلغ من الكناية؛ لأنها (الاستعارة) جامعة بين الكناية والاستعارة يعنى الاستعارة مستلزمة للكناية من غير عكس.

التمرين

١ - عرّف الكناية مع بيان الفرق بينها وبين المجاز.

٢ - اذكر أقسام الكناية باعتبار المكنى عنه، وقدّم أمثلتها.

٣ - عيّن محلّ الاستشهاد فى قول الشاعر :

أبت الروادف والثدى لقمصها مسّ البطون وأن تمسّ ظهورا

٤ - عرّف الكناية عن الموصوف، ثمّ بيّن أقسامها مع المثال.

٥ - اشرح البيت الآتى مع تعيين محل الاستشهاد :

إنّ السماحة والمروءة والندى فى قبّة ضربت على ابن الحشرج

٦ - اذكر مفاهيم التعريض، والتلويح، والرمز، والإيماء، ثم قدّم لها أمثلة.

٧ - بيّن مراتب المجاز، والكناية، والاستعارة عند البلغاء مع الدليل والمثال.

٨ - ما معنى قولهم فى المجاز والكناية : هما كدعوى الشىء ببيّنة؟

علم البديع

تعريف علم البديع: أمّا لغةً: فالبديع بمعنى المُخترع والموجَد على غير مثال سابق من قولهم: بَدَع الشيء وأبدعه، أى اخترعه لا على مثال سابق، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ وقوله تعالى: ﴿ما كنتُ بدعًا من الرسل﴾.

وأمّا اصطلاحًا: فهو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال، ووضوح دلالته -خلوه عن التعقيد-.

٢- **غايته**: هو إدراك جمال كلام العرب الذى نزل به كلام الله تعالى، وبُعث بهذه اللغة رسول الله ﷺ، والتصديق بإعجاز كلام الله تعالى من ناحية محاسنه اللفظية والمعنوية، وكماله الظاهرى والباطنى.

٣- **موضوعه**: هى الوجوه والأمور التى تورث فى الكلام حسنًا وجمالا، إمّا فى لفظه وإمّا فى معناه.

ولمّا كان الغرض الأصلى من الكلام هو المعنى اهتمّ علماء البديع بالمحسّنات المعنوية أكثر من اهتمامهم بالمحسّنات اللفظية، فقدّموا الأوّل على الثانى.

أنواع المحسّنات

وتلك الوجوه على قسمين: الأول: ما يفيد حسن المعنى أولا، وحسن اللفظ ثانيًا.

والثانى: بعكسه، أى ما يفيد حسن اللفظ أوّلا، وحسن المعنى ثانيًا.

فالمحسّنات المعنوية -على ما عدّها القزوينى ؒ فى "الإيضاح" واحد وثلاثون (٣١)- وعدد الوجوه اللفظية سبعة.

المحسّنات المعنوية: ١- ومنها المطابقة: وتسمّى الطّباق والتضاد أيضًا.

وهى الجمع بين المتضادّين، أى المعنيين المتقابلين بوجه من الوجوه، كالجمع بين القديم والحادث، والموت والحياة، والنوم واليقظة.

ومعنى المطابقة والطباق هو الموافقة، ولأجل توافق المعنيين فى كون كل منهما ضدًا للآخر يطلق على "التضاد" المطابقة أو الطباق، كما أنّ لأجل نفس التضاد وعدم الجمع بين المعنيين يطلق عليه لفظ "التضاد" أيضًا.

صور الجمع بين المتضادّين

فاللفظان المتضادّان: ١- إمّا اسمان كما فى قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود﴾.

٢- وإمّا فعلان، كما فى قوله تعالى: ﴿تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء﴾ وقوله ﷺ: «إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع»، وقول أبى صخر الهذلى:

أما والذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيى والذى أمره الأمر

٣- أو حرفان كقوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾، وقول الشاعر:

على أنّنى راض بأن أحمل الهوا وأخلص منه لا علىّ ولاليــا

٤- أو مختلفان أى يكون أحدهما اسمًا، والآخر فعلا، كما فى قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه﴾ فـ "ميتًا" اسم و "أحييناه" فعل.

ثم الطباق على قسمين: طباق فى الإيجاب، كما فى قوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظًا وهم رقود﴾، وطباق فى السلب، كما فى قوله تعالى: ﴿ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا﴾، فأحدهما سلب، والآخر إيجاب، وهو المراد من الطباق فى السلب، يعنى يكون التضاد باعتبار الإيجاب والسلب، لا باعتبار معنى اللفظ، كما يكون فى طباق الإيجاب (فى أيقاظ ورقود)، وكذا إذا كان أحدهما نهيًا، والآخر أمرًا، كما فى قوله تعالى: ﴿ولا تخشوا الناس واخشونِ﴾، ومن الطباق فى السلب قول الشاعر:

ونكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ومن الطباق المقابلة: وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثمّ يؤتى بما يقابل المعنيين أو المعانى على الترتيب.

١ - مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرًا﴾ ذكر الضحك والقلّة، ثم ذكر البكاء والكثرة المتقابلين لهما، وقوله عليه السلام: «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شأنه» فكون الرفق فى شىء زين، ونزعه عنه شين، وقول الشاعر:

فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فالمسرّة فى مقابلة المساءة والصديق فى مقابلة العدوّ، مع أن المسرّة والصداقة متوافقان، كما أن المساءة والعداوة كذلك، ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبى دُلامة:

ما أحسن الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وما أقبح الكفر والإفلاس بالرجل

ففيه مقابلة الحسن والدين والدنيا (الغنى) بالقبح والكفر والإفلاس (الفقر).

ومثال مقابلة أربعة قوله تعالى: ﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى

فسنُيسّره لليسرى وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾.

ولا شك أن البخل والاستغناء عن التقوى، وتكذيب الكلمة الحسنة (الطيبة) مقابلة للإعطاء، والتقوى والتصديق كما أن العسر مقابلة لليسر.

قال المنصور لمحمد بن عمران التيمى: "بلغنى أنك بخيل"، فأجابه محمد، وقال: "يا أمير المؤمنين! ما أجمد فِى حق ولا أذوب فى باطل"، وهذا من لطيف المقابلة.

٢- مراعاة النظير

ومنها مراعاة النظير، وتسمّى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضًا، وهى الجمع بين المتناسبين، مثالها قوله تعالى: ﴿والشمس والقمر بحسبان﴾ فإن الجمع بين الشمس، والقمر جمع بين المتناسبين كما لا يخفى.

وقد يجمع بين الأمور المتناسبة، كما فى قول بعضهم فى مدح المهلّبى الوزير: "أنت أيّها الوزير إسماعيلى الوعد، شعيبى التوفيق، يوسفى العفو، محمدى الخلق"، وكذلك فى الجمع بين ثلاثة أمور قول الشاعر:

كأنّ الثريّا عُلّقت فى جبينه ... وفى خدّه الشعرى وفى وجهه البدر

ففيه الجمع بين الكواكب الثلاثة: الثريا والشعرى والبدر، ولا تخفى مناسبة هذه الثلاث.

ومن قسم مراعاة النظير ما سمّاه بعضهم تشابه الأطراف، "وهو ختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى" نحو قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾.

فإن اللطيف -الواقع فى اختتام الكلام- يناسب كونه مدرِكًا بالأبصار ؛ لأن المدرك للشىء يكون خبيرًا و عالـمًا به.

التمرين

١- عرّف علم البديع ، واذكر غايته وموضوعه.

٢- ما هى المطابقة والطّباق والتضاد؟

٣- قدّم أربعة أمثلة لصور الجمع بين المتضادّين.

٤- بيّن محلّ الاستشهاد فى هذين البيتين :

أما والذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيى والذى أمره الأمر
على أنّنى راضٍ بأن أحمل الهوا وأخلص منه لا علىّ ولاليـــا

٥- اذكر قسمى الطّباق ، ومثّل لهما.

٦- عرّف المقابلة ، وقدّم لها مثالا ، ثم عيّن محلّ الاستشهاد فى هذه الآية : ﴿فأمّا من أعطى واتّقى وصدّق بالحسنى فسنُيسّره لليسرى وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾.

٧- ما هى مراعاة النظير؟ قدّم لها مثالا.

٣- الإر صاد

ومنها الإصاد، ويسمّى التسهيم أيضًا، وهو فى اللغة: نصب المراقب (أى تعيينه) فى الطريق (ليدلّ المارّة فى طرقهم) ويقال: بُرد مُسَهّم أى فيه خطوط مستوية، فالتسهيم: هو جعل الخطوط المستقيمة فى البرد لزينته.

وفى الاصطلاح: هو أن يجعل قبل العجز (أى الآخر) من الفقرة[1] -فى النثر- أو قبل العجز من البيت -فى النظم- ما يدل على العجز إذا عُرِف الروى، فكأنّ ما قبل العجز يراقب ما بعده بأنه أىّ شىء هو أو لأن فى الإرصاد زينةً للكلام كالبرد الذى فيه خطوط مستوية.

مثال الفقرة قول الحريرى: "وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه" فهما فقرتان.

والروى: هو الحرف الذى ينبى عليه أواخر الأبيات أو الفِقَر، ووجب تكريره فى كل منهما.

مثال الإرصاد فى الفقرة قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ فقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ يدل على أن مادة العجز (آخر الكلام) من نوع "الظلم"، وما يدل على "الروى" (هو الواو والنون) فى قوله تعالى (قبل هذه الآية: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ ومثاله فى البيت قول معديكرب:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوِزه إلى ما تستطيع

---

(١) والفقرة فى اللغة: حلىّ يصاغ على شكل فقرة الظهر، وفى الاصطلاح: هى فى النثر بمنزلة البيت فى النظم.

ففي قوله: "إذا لم تستطع" إرصاد؛ لأنه يدل على أن مادة العجز (المصراع الآتي) من نوع الاستطاعة.

٤- المشاكلة

ومنها المشاكلة: وهي في اللغة: المماثلة، وفي الاصطلاح: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير حقيقةً أو تقديرًا، مثال الأول (الواقع في صحبة الغير حقيقةً) قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لي جبّةً وقميصًا

أي قلت: "خطيوا لي جبّةً وقميصًا" فعبّر عن خياطة الجبّة بـ"الطبخ" لوقوع الخياطة في صحبة طبخ الطعام حقيقةً، يعني لا أريد الطعام، بل أريد الثوب.

وقوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ عبّر عن ذات الله المقدّسة بلفظ "نفسك" لوقوعها في صحبة "نفسي" حقيقةً، ومثال الثاني (الواقع في صحبة غيره تقديرًا) قوله تعالى: ﴿قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً ونحن له عابدون﴾، فإنّ "صبغة الله" مصدر مؤكّد لآمنّا بالله، ومنصوب بفعل مقدر، أي صبغنا الله صبغة، والمعنى آمنّا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغةً لا مثل صبغتكم وطهّرنا الله بالإيمان تطهيرًا لا مثل تطهيركم.

فعبّر عن الإيمان بالله (أي تطهير الله) بصبغة الله للمشاكلة، أي لوقوع تطهير الله في صحبة الإيمان الذي هو بمعنى التطهير والتصبيغ عند الله، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم (بعد الولادة) في ماء أصفر

يسمّونه "المعمودية" ويزعمون أنه تطهير لأولادهم، فكان "آمنّا بالله" في تقدير صبغنا الله بالإيمان، ثم عبّر عن تطهير الله بـ "صبغة الله" لوقوعه في صحبة الصبغ تقديرًا.

٥- الاستطراد

ومنها الاستطراد: وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني، يعني لم يُجعل الأول توطية للثاني، مثاله قول الشاعر:

وإنّا لقوم ما نرى القتل سبّةً إذا ما رأته عامر وسلول

وقول الشاعر:

إذا ما تّقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم

وقوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير﴾.

قال الزمخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدء السوآة، وخصف الورق عليها إظهارًا للمنّة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارًا بأن التستّر باب عظيم من أبواب التقوى.

٦- المزاوجة

ومنها المزاوجة: وهي في اللغة: مصدر من المفاعلة بمعنى جعل شيء زوجًا لآخر بعد ما كان فردًا، أو القران بين أمرين.

وفي الاصطلاح: هي أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء، أي

يرتّب على الجزاء مثل ما رُتّب على الشرط كقول الشاعر :

إذا ما نهى الناهى فلجّ بى الهوى   أصاخت إلى الواشى فلجّ بها الهجر

أى إذا منع المانع عن حبّها ، فزاد ولزمنى حبّها استمعت المحبوبة إلى النمّام الذى يزيّن كذبه ، أى تصدّق النمّام فى افتراءه علىّ فلجّ ولزم بها الهجر والفراق ، وقد زاوج الشاعر بين "نهى الناهى" وبين "أصاخت إلى الواشى" حيث رتّب على الجزاء مثل ما رتّب على الشرط من اللجوج ، وكذا قول الشاعر :

إذا احتربت يومًا ففاضت دماءها   تذكّرت القربى ففاضت دموعها

وقد زاوج بين الشرط (احتربت) والجزاء (تذكّرت) حيث رتب على الجزاء مثل ما رتب على الشرط وهو قوله : "ففاضت" .

٧- العكس

ومنها العكس والتبديل : وهو أن يجعل الجزء المقدم من الكلام مؤخرًا ، والمؤخر منه مقدّمًا ، نحو عادات السادات سادات العادات ، وكلام الملوك ملوك الكلام.

وله أنواع ثلاثة : الأول : أن يقع بين المضاف والمضاف إليه كما فى المثالثين السابقين.

والثانى : أن يقع بين متعلقى فعلين فى جملتين ، نحو قوله تعالى : ﴿يخرج الحىّ من الميّت ويخرج الميّت من الحىّ﴾ فالفعلان يخرج فى الموضعين ، ومتعلقهما "الحىّ" و "الميّت" .

والثالث : أن يقع بين لفظين فى طرفى جملتين ، كما فى قوله تعالى :

﴿لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهنّ﴾ قدّم "هن" وأخر "هم" في الجملة الأولى، وعكس في الجملة الثانية، وهما لفظان وقعا في طرفي المسند إليه والمسند، ومنه قول المتنبئ:

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده

٨- الرجوع

ومنها الرجوع، ومعناه لغةً: العود، وأمّا اصطلاحًا: فهو العود إلى الكلام السابق بنقضه وإبطاله لنكتةٍ، كقول الشاعر:

قف بالديار التي لم يَعفُها القدمُ ... بلى وغيّرها الأرواح والدِيَم

أي توقف بالديار التي لم يبلها قدم العهد، بلى وقد أبلاها وغيّرها الرياح والأمطار، أثبت أولا أن تلك الديار لم تتغيّر بسبب تقادم العهد، وتطاول الأزمان، ثم رجع وقال: بلى قد تغيرت لأجل كثرة الرياح والأمطار، فنقض كلامه الأول لنكتة أنّ تغيّرها لأجل كثرة الرياح والأمطار.

٩- التورية

ومنها التورية، ويسمّى الإيهام أيضًا، وهي في اللغة: مصدر من ورى الخبر إذا ستره وأظهر غيره.

كأنّه جعله وراء ظهره لأجل ستره.

واصطلاحًا: هي أن يذكر لفظ له معنيان: قريب، وبعيد، ويراد به المعنى البعيد لأجل قرينة خفيّة تدل عليه.

أنواع التورية:

وهى ضربان: الأول: المجرّدة: وهى التى لم يذكر فيها شىء من لوازم المعنى القريب، نحو قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فإن للاستواء معنيين: قريب، وهو الاستقرار فى المكان، وبعيد، وهو الاستيلاء والملك، وهذا لمعنى البعيد هو المراد ههنا؛ لأنه لم يذكر شىء من لوازم المعنى القريب.

والثانى: المرشّحة: وهى التى ذكر فيها شىء من لوازم المعنى القريب، نحو قوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾ أريد من "اليد" القدرة، وهو المعنى البعيد للفظ اليد، وقد ذكر البناء الذى يلائم المعنى القريب، وهو الجارحة المخصوصة، والتمثيل بالآيتين عند أهل التأويل يصحّ وإلا فلا.

التمرين

١ – عرّف الإرصاد، وقدّم له مثالا.

٢ – اذكر مثال الفقرة من قول الحريرى.

٣ – أظهر محلّ الاستشهاد فى هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئًا فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

٤ – ما هى المشاكلة؟ عرّفها وقدّم لها مثالا.

٥ – أىّ من المحسّنات المعنوية توجد فى هذه الآية : ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾؟ عيّن محلّ الاستشهاد فى هذه الآية : ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغةً﴾.

٦ – أبرز المحسن فى هذا البيت :

وإنّا لقوم ما نرى القتل سبّة   إذا ما رأته عامر وسلول

٧ – ما هى المزاوجة بيّنها؟ ومثّل لها.

٨ – اذكر ثلاثة أمثلة للعكس.

٩ – مثّل للرجوع والتورية.

١٠- الاستخدام

ومنها الاستخدام، وهو لغةً: طلب الخدمة، وفى الاصطلاح: هو أن يراد من اللفظ الذى له معنيان بظاهره معنى، وبالضمير الراجع إليه معنى آخر، أو بأحد الضميرين الراجعين إليه معنى، وبالضمير الآخر معنى آخر، مثال الأول قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابًا

أراد بالاسم الظاهر (السماء) الغيث، وبضميره فى "رعيناه" النبت، وكلاهما معنى مجازى للسماء، ومثال الثانى قول الشاعر:

فسقى الغضا والسّاكنيه وإن هم شبّوه[1] بين جوانحى وضلوعى

الغضا: نوع من الشجر، وجوانح: جمع جانحة وهى الأضلاع التى تحت الترائب مما يلى الصدر، وضلوع: أيضًا الأضلاع، ولكن مما يلى الظهر.

معنى الشعر: سقى الله الشجر الغضا والذين يسكنون فى مكان ذلك الشجر، وإن هؤلاء الساكنون أوقدوا نار ذلك الشجر بين أضلاعى أى قلبى، فأراد من ضمير "الساكنيه" مكان شجر الغضا، ومن الضمير المنصوب فى "شبّوه" النار الحاصلة من ذلك الشجر، وكلاهما معنى مجازى لشجر الغضا.

١١- اللفّ والنشر

ومنها اللف والنشر: وهو ذكر أمرين فصاعدًا تفصيلا أو إجمالا، ثم

---

(١) شبّوه: أوقدوه.

ذكر ما يناسب كل واحد منها من غير تعيين ثقةً بأنّ السّامع يردّ كل واحد إلى ما يليق به.

مثاله قوله تعالى: ﴿ومن رحمته أن جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ ذكر الله تعالى الليل والنهار بالتفصيل، ثمّ ذكر ما لكل واحد منهما من السّكون فى الليل، والابتغاء فى النهار.

هذا إذا كان النشر على ترتيب اللفّ، وأمّا إذا كان النشر على غير ترتيب اللف، فمثاله قول الشاعر:

كيف أسلو وأنتِ حقف وغصن   وغزال لحظًا وقدًّا وردفًا

فهذا على غير ترتيب اللفّ، لأن اللحظ للغزال، والقدّ للغصن، والردف للحقف (والحقف هو الرمل المجتمع المستدير) يعنى أنتِ كالغزال فى اللحاظ والنظر بطرف عينك، وكالغصن فى القدّ (فى طوله ودقاقته) وكالحقف فى كثرة لحم أليتيك ولينها.

هذا إذا كان الأمور المتعددة مذكورةً تفصيلا، وأمّا إذا كانت مذكورةً إجمالا فمثاله قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنّة إلا من كان هودًا أو نصارى﴾ فإن الضمير فى "قالوا" لليهود والنصارى، فذكر الفريقان على طريق الإجمال، ثم ذُكِر ما لكل منهما، أى قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى.

١٢- الجمع

ومنها الجمع: وهو أن يُجمع بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد، كما فى قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ وقد جُمع بين المال والبنين

فى كونهما زينة للحياة الدنيا، وكذا قول الشاعر :

إن الفــراغ والشــبــاب والجــده   مـفــســدة للمــرء أىّ مـفــســده

وقد اشترك الثلاث فى كونها مفسدة للمرء، وقول الشاعر :

ثلاثة تشـرق الدنيـا ببـهـجـتـهـا   شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

وهنا أيضًا اشترك الثلاث فى إشراق الدنيا لحسنهنّ.

١٣- التفريق

ومنها التفريق : وهو إيقاع التباين بين أمرين من نوع واحد فى المدح أو غيره، كما فى قوله تعالى : ﴿كذّبت ثمود وعاد بالقارعة فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية وأمّا عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾، وقول الشاعر :

مــا نوال الغــمــام وقت ربيع   كنوال الأمــيــر يوم ســخــاء

فنوال الأمــيــر بدرة عين   ونوال الغــمــام قطرة مــاء

النوال : العطاء، وبدرة عين : قطعة ذهب، فأوقع الشاعر التباين بين نوال الأمير، ونوال الغمام مع أنهما نوع واحد وهو العطاء.

١٤- التقسيم

ومنها التقسيم : وهو ذكر متعدد أولا ثمّ إضافة ما لكل واحد إليه على سبيل التعيين ثانيًا، بخلاف النشر بعد اللف، حيث لا يكون فيه إضافة ما لكل واحد إليه على سبيل التعيين، بل يُفوّض فيه الإضافة إلى علم السّامع، كقول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الأذلان عير الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمّته   وذا يشجّ فلا يرثى له أحد

أى لا يقيم ولا يصبر أحد على ظلم يراد به إلا الأذلان، وهما حمار القبيلة، والوتد الذى يربط به الحمار، فالحمار مربوط مع الذلّ بقطعة حبل بالية، والوتد يدقّ ويشجّ رأسه فلا يرحم عليهما أحد، ثم أضاف إلى الأوّل الربط على الخسف والذل، وإلى الثانى الشج على التعيين.

١٥- الجمع مع التفريق

ومنها الجمع مع التفريق: وهو أن يُدخَل شيئان فى معنى واحد، ثم يفرّق بين جهتى الإدخال، نحو قوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾، وقول الشاعر:

فوجهك كالنّار فى ضوءها   وقلبى كالنار فى حرّها

جمع القلب والوجه فى التشبيه بالنار ثم فرّق فى جهة التشبيه، بأن الوجه كالنار فى الضوء، والقلب كالنار فى الحرارة، كما جُمِع فى الآية بين الليل والنهار فى كونهما آيتين، ثم فُرّق بينهما بمحو الليل وجعل النهار مبصرةً.

١٦- الجمع مع التقسيم

ومنها الجمع مع التقسيم: وهو جمع متعدد تحت حكم واحد، ثمّ تقسيمه، أو تقسيم متعدد ثمّ جمعه، مثال الأول كقول الشاعر:

حتى أقام على أرباض خرشنة   تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا   والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

أى قاد سيف الدولة عساكره حتى أقام بأطراف ونواحى بلدة اسمها خرشنة، ووقع لأجله أهل الروم فى الشقاء والمشقة، وهم أهل الصليب وأهل المعابد، مع أن هؤلاء ما نكحوا أزواجهم للسّبى، وما ولدوا للقتل أى ما ولد منهم ولد ليقتل، وما جمعوا أموالهم للنهب وما زرعوا مزارعهم للإحراق، جمع الشاعر[1] فى البيت الأول شقاء الروم بالممدوح[2] على سبيل الإجمال، حيث اكتفى بقوله: "وتشقى به الروم" ثمّ قسّم فى البيت الثانى، وفصّل فقال: "للسّبى ما نكحوا" إلخ، ومثال الثانى (التقسيم ثم الجمع) قول الشاعر:

قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوهم   أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة   إن الخلائق فاعلم شرّها البدع

أى هم قوم إذا أرادوا حرب العدوّ ضرّوهم، أو إذا أرادوا النفع فى أتباعهم وأصدقاءهم نفعوهم، وتلك منهم طبيعة وغزيرة قديمة وليست بجديدة ومحدثة، فإن شرّ الأخلاق حديثها وجديدها الذى يصدر بالتصنع والتكلّف يعنى يتبدل وقتًا فوقتًا، فقسم الشاعر فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرّ الأعداء ونفع الأولياء، ثم جمعها فى البيت الثانى بقوله: "سجية تلك".

١٧- الجمع مع التفريق والتقسيم

ومنها الجمع والتفريق والتقسيم: وهو أن يجمع بين متعدد فى حكم،

---

(١) المتنبى.

(٢) سيف الدولة.

ثم يوقع التباين بينهما، ثم يضاف إلى كل واحد ما يناسبه، كقوله تعالى: ﴿يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقىّ وسعيد فأمّا الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربّك إن ربّك فعّال لما يريد وأمّا الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربّك عطاء غير مجذوذ﴾.

١ - أمّا الجمع ففى قوله: ﴿يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾ فإن "نفس" متعدد معنًى لأن النكرة فى سياق النفى تعمّ.

٢ - وأمّا التفريق ففى قوله: ﴿فمنهم شقىّ وسعيد﴾.

٣ - وأما التقسيم ففى قوله: ﴿فأمّا الذين شقوا﴾ إلى آخر الآية الثانية.

١٨ - التجريد

ومنها التجريد وهو لغةً: إزالة الشىء عن غيره، واصطلاحًا: هو أن ينتزع عن أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة؛ لإفادة المبالغة بادّعاء كمال تلك الصّفة فى الأمر الأول.

مثاله: "لى من فلان صديق حميم" أى بلغ فلان من الصداقة مبلغًا صحّ معه أن ينتزع منه صديق آخر مثله فيها، يعنى هو كالصديقين.

أقسام التجريد:

وله أقسام: ١ - منها ما يكون بـ "من" التجريدية، كما فى المثال المذكور (لى من فلان صديق حميم).

٢ - ومنها ما يكون بـ "باء" التجريدية الداخلة على المنتزع منه، نحو

قولهم: "لئن سألتَ فلانًا تسألنّ به البحر" فقد بالغ المتكلم فى اتصاف الفلانى بالسماحة حتى انتزع منه بحرًا من السماحة.

٣- ومنها ما يكون بدخول باء المعية على المنتزع، كقول الشاعر:

وشوهاء تعدو بى إلى صارخ الوغى ... بمستلئم مثل الفنيق المرحّل

الشوهاء: الفرس القبيح المنظر، وتعدو: تسرع.

وصارخ الوغى: المستغيث فى الحرب.

ومستلئم: لابس لأمة، أى لابس درع.

والفنيق: الفحل المكرّم.

والمرحّل: البعير الذى أطلق وأرسل عن مكانه.

يريد الشاعر أنها -الفرس- تعدوى بى ومعى من نفسى مستعدّ آخر للحرب، فقد بالغ فى استعداده للحرب حتى انتزع من نفسه مستعدًا آخر لها.

٤- ومنها ما يكون بدخول "فى" على المنتزع منه، نحو قوله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ فإن جهنم -أعاذنا الله منها- هى دار الخلد، ولكن انتزع منها دار مثلها، وجُعلت معدّةً للكفار تهويلا لأمرها، ومبالغة فى اتصافها بالشدّة.

التمرين

١ - استخدم مثالين لتوضيح صنعة الاستخدام.

٢ - قدّم مثالين من القرآن الكريم لتأيد قاعدة اللفّ والنشر.

٣- عيّن محل الاستشهاد فى هذا البيت:

كيف أسلو وأنتِ حقف وغصن   وغـــزال لحظًا وقـــدًا وردفًا

٤- ما هو الجمع الذى هو من المحسّنات المعنوية؟

٥- ما هو التفريق فى اصطلاح علماء البديع؟ عرّفه وقدّم له مثالا.

٦- اذكر مثال التقسيم وطبّقه على تعريفه.

٧- اذكر محل الاستشهاد فى البيت الآتى:

فـوجـهك كـالنّار فى ضـوءها   وقلبى كـــالنار فى حـــرّها

٨- أخرج الجمع مع التقسيم من هذين البيتين:

حتى أقـام على أرباض خـرشنة   تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسّبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا   والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

٩- اذكر مثال الجمع مع التفريق والتقسيم من القرآن الحكيم.

١٠- عرّف التجريد، وبيّن أقسامه وأمثلته.

١٩- المبالغة المقبولة

ومنها المبالغة المقبولة، وأمّا المبالغة المردودة فلا تكون من المحسّنات فى شىء.

تعريف المبالغة: وهى أن يدّعى بلوغ وصف فى الشدّة أو الضّعف حدّاً مستحيلا، أو مستبعدًا، لئلا يظنّ أنه غير متناه فى الشدّة أو الضعف.

أقسام المبالغة

وتنحصر المبالغة فى التبليغ والإغراق والغلوّ.

١- فالتبليغ: هو أن يكون دعوى الوصف بالشدّة أو الضعف فى شىء ممكنًا عقلا أو عادةً، كقول الشاعر:

فعادى عداءً بين ثور ونعجة ... دراكًا فلم ينضح ماءً فيغسل

فقد وصف فرسه بأنه أدرك ثورًا وبقرةً وحشيين فى مضمار واحد، ولم يعرق حتى يغسل، وذلك غير ممتنع عقلا وعادةً، يعنى أسرع الفرس إسراعًا متواليًا بين الثور والنعجة حتى أصرعهما فى مرّة واحدةٍ، ولم يعرق، فلم تبقَ الحاجة إلى غسله عن العرق.

٢- والإغراق: هو أن يكون الوصف بالشدّة أو الضعف ممكنًا عقلا دون عادةٍ، كقول الشاعر:

ونكرم جارنا مادام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث مالا

أى نكرم جارنا حينما كان بيننا ومعنا، ونرسل أسباب الكرامة على أثره

وخلفه إذا غاب وذهب عنّا، وهذا ممكن عقلا، ولكن ممتنع عادةً لغلبة الشحّ على النّاس، وهما -التبليغ والإغراق- مقبولان عند البلغاء، فهما من المحسّنات البديعية.

٣- والغلوّ: هو أن لا يكون الوصف بالشدّة أو الضعف ممكنًا لا عقلا ولا عادةً، كقول الشاعر:

أخفتَ أهل الشرك حتى إنه   لتخافك النطف التى لم تخلق

فمخافة النطف فى الأرحام غير ممكن عقلا وعادةً.

أنواع الغلوّ المقبول

والمقبول منه أصناف: ١- منها: ما أدخل عليه ما يقرّبه إلى الصّحة (والإمكان) نحو قوله تعالى: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار﴾ فلفظة "يكاد" جعلت الغلوّ أقرب إلى الصحة ومقبولا، فإن إضاءة الزيت قبل مسّ النار غير ممكن عقلا وعادةً، ولكن لما زيدت لفظة "يكاد" صارت ممكنًا عقلا وعادةً، فإن صفاء الزيت حتى يكون كالمصباح، أو قريبًا منه لا ينكر، فإن المحال القريب الوقوع يجعله الوهم واقعًا وممكنًا.

٢- ومنها ما تضمّن نوعًا حسنًا من التخييل، كقول الشاعر:

عَقَدت سنابلها عليها عثيرًا   لو تبتغى عنقًا عليه لأمكنا

أى جمعت حوافر الخيل الجياد على رؤوسها غبارًا كثيرًا، حتى لو تطلب تلك الجياد وتريد سيرًا سريعًا على هذا الغبار لأمكن هذا السير، فالعنق نوع من السير وهو السّريع منه، فإن العنق محلّ ظهور سرعة السير فى الخيل والإبل، والعثير: الغبار.

وادعى الشاعر تراكم الغبار المرتفع من سنابك الخيل (حوافرها) فوق رؤوسها بحيث صار أرضًا يمكن سير الخيل عليها، وهذا ممتنع عقلا وعادةً، ولكنه تخييل حسن عند الشعراء.

٣- ومنها ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة (عدم المبالاة بما يقول) كقول الشاعر:

أسكر بالأمس إن عزمتُ　　على الشرب غدًا إن ذا من العجب

هذه مبالغة فى شغف الشاعر بالشرب (شرب الخمر) فادعى أن حرصه على الشرب وصل إلى حدّ لو أنه أراد الشرب فى الغد فيسكر بالأمس قبل مجيء الغد، وقبل الشرب، ولا شك أن سكره بالأمس عند عزمه على الشرب غدًا محال عقلا وعادةً، ولكن لمّا كان الكلام أخرج مخرج الهزل والخلاعة صار ذلك الغلوّ مقبولا.

٢٠- المذهب الكلامى

ومنها المذهب (الأسلوب) الكلامى فى الاستدلال على شىء.

تعريف المذهب الكلامى: هو أن يأتى المتكلم بحجة لما يدعيه على طريق -أسلوب- أهل الكلام، يعنى كون الدليل بعد تسليم مقدماته مستلزمًا للمطلوب (سواء كان ذلك الدليل اقترانيًا أو استثنائيًا) مثاله قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ واللازم (هو فساد السموات والأرض) باطل، فالملزوم -وهو تعدد الآلهة- أيضًا باطل، وكذا قول الشاعر:

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة　　وليس وراء الله للمرء مطلب

لئن كنتَ بُلّغت عنّى خيانةً　　لمبلّغك الواشى أغشّ وأكذب

ولكنّى كنتُ امـرءً لى جـانب　　من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا مـا مـدحـتُهم　　أحكّمُ فى أمـوالهـم وأقـرّبُ
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم　　فلم ترهم فى مـدحك أذنبـوا

حاصل الشعر : أى حلفتُ بالله وأزلتُ ريبك؛ فإن المرء لا يحلف بالله كاذبًا، فلئن وصل إليك من جانبى خيانة فو الله لمبلغ تلك الخيانة أكثر الناس خيانة وأكذبهم، ولكن أنا امرئ أطلب رزقى فى جانب من الأرض، وأذهب إلى حاجاتى، وفى ذلك الجانب ملوك وإخوان إذا أمدحهم التصرّف فى أموالهم وأكنون قريبًا منهم، كما أنك إذا أحسنتَ إلى قوم، ثم مدحوك لا يكون مدحهم ذلك ذنبًا، فكذلك مدحى لآل جفنة لا يكون ذنبًا، فهذا من قبيل الأسلوب الذى قد يستدل به أهل الكلام.

٢١- حسن التعليل

ومنها حسن التعليل : هو ادّعاء علة مناسبة لحكم، أو وصف لاعتبار لطيف، وليست فى الحقيقة علّة له، كما فى قولك : "قتل فلان أعداءه لدفع ضررهم" فإنه ليس فيه شىء من حسن التعليل، بل الحسن فى أنه قتلهم لأجل إيفاء العهد مع الذئاب، فإيفاء العهد مع الذئاب ليست علة حقيقية لقتل الأعداء، ولكن يناسب قتل الأعداء فى الظاهر، ويعجب السّامع.

أقسام حسن التعليل:

وله أربعة أقسام : الأوّل : أن تكون الصفة التى قُصِد بيان علّتها ثابتةً، ولا يظهر لها علّة فى العادة، كقول الشاعر :

لم يحك نائلك السحاب وإنّما حمّت به فصبيبها الرحضاء

يقول الشاعر فى مدح سخاء الممدوح وأنه لا مثل له: لم تحاك السحاب بإنزال المطر كثرة عطاءك، بل إنما صارت محمومة بسبب كثرة عطاءك وحياءها أمام سخاءك، فيصبّ منها العرق.

فأثبت أن علّة نزول المطر هى خجالة السحاب عن عطاء الممدوح، فإن نزول المطر لا يظهر له علة فى العادة، وإن لم يكن خاليًا عن العلّة فى الحقيقة، ونزول المطر لأجل حياء السّحاب عن الممدوح ليس أمرًا واقعيًا بل أمر ادّعائى وفيه حسن معنوى.

والثانى: أن تكون تلك الصفة ثابتة ويظهر لها فى العادة علّة غير العلة المذكورة معها، ليتحقق حسن التعليل بذكر العلّة غير الحقيقة وغير العادية، كقول الشاعر:

ما به قتل أعاديه ولكن يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

يعنى ليس فى الممدوح رغبة قتل الأعداء لأجل دفع ضررهم، بل لاتّقاء إخلاف الوعد، فالعلّة الحقيقية والعادية هى دفع مضرّتهم عن نفسه وإخلاء المملكة عن منازعتهم، ولكن العلّة المذكورة مع صفة القتل هى اتّقاء خلف الوعد مع الذئاب؛ لأن الممدوح إذا خرج للحرب صارت الذئاب ترجو اتّساع الرزق بكثرة لحوم من يُقتل من الأعادى، وفى هذا مع كونه وصفًا له بكمال الجود مدح له بكمال الشجاعة، حتى ظهر جوده وشجاعته للحيوانات أيضا.

والثالث: أن لا تكون تلك الصّفة ثابتةً ولكن كانت ممكنةً - ممكن الثبوت - كقول الشاعر:

يا واشيًا حسنت فينا إساءته نجّى حذارك إنسانى من الغَرَق

أيّها الواشى والنمّام الذى حسُنت إساءته فينا قد نجّى خوفى منك إنسان

عينى من الغرق فى الدموع لأجل البكاء.

والحاصل أن استحسان إساءة الواشى ممكن (وإن كان غير واقع) لكنه لما خالف فيه العادةعقّبه بذكر علّته وهى أن حذاره وخوفه من النمام منعه من البكاء، فسَلِم إنسان عينه من الغرق فى الدموع، حيث ترك البكاء، فصار استحسان الإساءة علّة موجبة للحسن.

والرابع: أن لا تكون تلك الصّفة ثابتةً ولا ممكنةً، كقول الشاعر فى ترجمة بيته الفارسى:

(گر نبودى قصد جوزا خدمتش   كس نديدى بر ميانِ او كمر)

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته   لما رأيت عليها عقد منتطق

أى عقدًا من شدّ النطاق على وسطها، والمنتطق: هو الذى شدّ النطاق على وسطه.

ويزعم علماء الهيئة القدماء أن حول كوكب الجوزاء كواكب صغار يقال لها: نطاق الجوزاء، وبناءً على هذا الزعم بالغ الشاعر فى المدح، وقال: لو لم تكن إلخ فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة؛ لأن النية والقصد إنما يكون من العاقل، وجعل الشاعر شدّ النطاق على وسط الجوزاء علّة لها.

٢٢- التفريع

ومنها التفريع: وهو لغةً: جعل شىء فرعًا لغيره، واصطلاحًا: هو أن يُثبت حكم لأحد متعلقى أمر، ثم يُثبت ذلك الحكم لمتعلّقه الآخر كما فى قول الشاعر:

أحلامكم لسقام الجهل شافية   كما دماءكم تشفى من الكَلَب

الكَلَب: داء يشبه الجنون، يحدث من عضّ الكلب المجنون، ولا دواء له (فى زعم أهل الجاهلية) سوى شرب دم الملوك، فبناءً على هذا الزعم قال الشاعر هذا الكلام.

والمراد بالحكم هنا الشفاء، وبالأمر الملوك، وبأحد المتعلقين الأحلام وبالآخر الدماء، ففرع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دماءهم من داء الكلَب يعنى ذكر الوصف الثانى بعد الأول، وليس المراد التفريع الأصولى، حتى يكون أحدهما أصلا، والآخر فرعًا.

التمرين

١ – عرّف المبالغة، وبيّن أقسامها، والمقبولة منها.

٢ – عيّن محل الاستشهاد فى البيت الآتى:

أخفت أهل الشرك حتى إنه   لتخافك النطف التى لم تخلق

٣ – بيّن أنواع الغلوّ المقبول مع الأمثلة.

٤ – ما هو مذهب الكلامى؟ مثّل له.

٥ – ما ذا تعرف عن حسن التعليل: ؟ بيّنه وقدم له مثالا، واذكر أنواعه الأربعة أيضًا.

٦ – بيّن التفريع، واذكر له مثالا.

٢٢- تأكيد المدح بما يشبه الذمّ

وهو ضربان: الأوّل: -وهو أفضلهما- أن يستثنى من صفة ذمَ منفية عن شيء صفة مدح لذلك الشيء على تقدير دخول صفة المدح فى صفة الذمّ، كقول الشاعر:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قرع الكتائب[١]

فالمشابهة بالذمّ إدخال فلول السيف فى العيب، ثم إخراجه بالاستثناء المتصل الذى هو الأصل فى الاستثناء، والمدح بسبب نفى العيوب عنهم، وتأكيد المدح لأجل كون الاستثناء منقطعًا، وبسبب أن فلول السيف كناية عن الشجاعة، ففى "لا عيب فيهم" مدح، وفى "غير أن سيوفهم" شبه الذم على تقدير دخول "فلول السيف" فى العيوب، وفى كونه كناية عن الشجاعة تأكيد المدح، وهذا كدعوى الشيء ببينة، يعنى ليس فيهم عيب لأن فى سيوفهم فلولا.

والثانى: أن يُثبت لشيء صفة مدح، ثم يذكر أداة الاستثناء ويكون بعدها صفة مدح أخرى لذلك الشيء، نحو قوله عليه السلام: «أنا أفصح العرب بيدَ أنى من قريش»، فصفة المدح: "أفصح العرب" والموصوف هو النبى ﷺ وأداة الاستثناء "بيدَ" والصفة الأخرى "من قريش".

---

(١) الفلول: جمع فلّ، وهو الكسر فى حدّ السيف، القراع: الضرب بالسيوف من الجانبين، الكتائب: الجيوش.

٢٤- تأكيد الذم بما يشبه المدح

ومنها تأكيد الذم بما يشبه المدح، وهو أيضًا ضربان: الأول: أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذمّ بتقدير دخول صفة الذمّ في صفة المدح، كقولك: فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه، أي انتفت عنه صفات الخير إلا هذه الصفة، وهي الإساءة إلى محسنه لو كانت خيرًا لكنها ليست بخير، فحينئذٍ لا خير فيه أصلا.

والثاني: أن يُثبت للشيء صفة ذمّ، ويُذكر عقب تلك الصّفة أداة الاستثناء، ثم تتّصل بأداة الاستثناء صفة ذمّ أخرى لذلك الشيء، كقول القائل: "فلان فاسق إلا أنه جاهل" وبعبارة موجزة: هو أن يُثبَت لشيء صفة ذم، ثم استثنى من تلك الصفة صفة ذمّ أخرى، كما في المثال المذكور.

٢٥- الاستتباع

ومنها الاستتباع وهو في اللغة: طلب المتابعة، وفي الاصطلاح: هو المدح بصفة يستلزم المدح بصفة أخرى، كقول الشاعر:

نَهبَت من الأعمار ما لو حويته ... لهُنِئَتِ الدنيا بأنك خالد

فإنه[1] مدح سيف الدولة ببلوغه النهاية في الشجاعة؛ لأنه كثر قتلاه بحيث لو وَرِث أعمارهم لخلد في الدنيا، ولقال الناس للدنيا: "هنيئًا لكِ لطول حياته" وقد استلزم هذا المدح مدحه بكونه سببًا لصلاح الدنيا وبقاء

(١) المتنبي.

نظامها ؛ حيث هُنِئَتِ الدنيا بخلوده.

٢٦- الإدماج

ومنها الإدماج وهو لغةً: الإدخال، يقال: أدمج الشيء فى ثوبه إذا لفّه فيه، واصطلاحًا: هو أن يجعل المتكلم كلامًا ساقه لمعنًى (من مدح أو ذمّ أو غيرهما) متضمّنًا لمعنًى آخر، وهو أعمّ من "الاستتباع" لاختصاصه بالمدح، مثاله قول أبى الطيب:

أقلّب فيه أجفانى كأنّى ... أعدّ بها على الدهر الذنوبا

أى أتقلّب أجفانى فى الليل كأنّى أعدّ بها ذنوب الدهر، فقد ساق الكلام أصالة لبيان طول الليل، وأدمج (أدخل) فى ذلك على وجه الاستتباع الشكاية من الدهر.

٢٧- التوجيه

ومنها التوجيه وهو فى اللغة: ١- جعل شىء ذا وجهين ٢- وبيان وجه الشىء وعلّته.

وفى الاصطلاح: هو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين (كالمدح والذم وغيرهما) مثاله قول الشاعر:

خاط لى عمرو قباء ... ليت عينيه سواء

فإن الخيّاط كان أعور، ففى قول الشاعر: "ليت عينيه سواء" إذا كان التمنّى صحة عينه المعيوبة يكون الكلام دعاءً له، وإذا كان عيب عينه

الصحيحة يكون الكلام دعاءً عليه، ففيه وجهان، وإيراده توجيه.

٢٨- الهزل

ومنها الهزل الذى يراد به الجدّ، وهو أن يذكر الشىء على سبيل المزاح واللعب، ويقصد به أمر صحيح، مثاله قول الشاعر:

إذا مـا تميـمى أتاك مـفـاخـرًا فقل عُد عن ذا كيف أكلك للضبّ

أى قل للتميمى إذا جاءك وهو يفتخر بحضورك: تجاوز عن هذا الفخر وقل لى: كيف أكلك للضبّ؟ فهذا السؤال هزل فى الظاهر وجدّ فى المعنى؛ حيث أراد المتكلم به ذمّ التميمى بأكله الضبّ، وأنه لا مفاخرة مع هذا الفعل القبيح وهو أكل الضبّ.

٢٩- تجاهل العارف

ومنها تجاهل العارف: وهو إيراد المعلوم فى صورة المجهول لنكتة، وهى: (١) قد تكون توبيخًا كما فى قول الامرأة الخارجية:

أيا شـجر الخـابور مالك مورّقًا كـأنك لم تجـزع على ابن طريف

أيّها الشجر النابت بموضع الخابور لما ذا أراك ذا أوراق وناضرًا مسرورًا؟ كأنك لم تظهر الحزن والألم على قتل أخى وفراقه، فالشاعرة تعلم أن الشجرة لا تجزع على أحد لأنها لا عقل لها، ومع ذلك تظهر الجهل وتوبّخ الشجر بترك الجزع على قتل أخيها، فغير الشجر أولى بالتوبيخ.

(٢) وقد تكون (تلك النكتة) مبالغة فى المدح، كما فى قول الشاعر:

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح   أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى

يقول الشاعر مبالغًا فى مدح محبوبتها : ألمعُ برقٍ سرى فى الليل أم ضوء مصباح ، أم ضوء يظهر عن أسنانها عند التبسّم فى الوجه الجميل؟

فالشاعر يعلم أنه لا ضوء هناك سوى ضوء أسنانها عند الابتسام ، ولكنه تجاهل وأظهر أنه التبس عليه الأمر فى معرفة ذلك الضوء.

(٣) وقد تكون مبالغة فى الذم ، كقول الشاعر :

وما أدرى وسوف أخال أدرى   أقوم آل حصن أم نساء

فإن الشاعر يعرف أن آل حصن قوم ورجال ، ومع ذلك يتجاهل إظهارًا لذمّهم ، وأنهم كالنساء فى الضعف.

(٤) وقد تكون تحيّرًا فى الحبّ كما فى قول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا   ليلاى منكن أم ليلى من البشر

فالشاعر يعرف أن المحبوبة ليست ظبية بل هى امرأة ، ولكن لأجل التحيّر فى المحبّة تجاهل وقال.

٣٠- القول بالموجِب

ومنها القول بالموجِب وهو فى اللغة : الاعتراف بدليل الخصم ، وفى الاصطلاح ، هو تسليم مقدمات (دليل) الخصم والإنكار عن نتيجتها ، وهو على ضربين : أحدهما : أن تقع صفة فى كلام الغير لشىء وأثبت لها حكم ، فتُثبت (أنت) فى كلامك تلك الصفة لغير موصوفها من غير تعرض لذلك الحكم نفيًا أو إثباتًا.

كما فى قوله تعالى : ﴿هم الذين يقولون لئن رجعنا إلى المدينة

ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾ فالصّفة فى هذه الآية هى "الأعزّ" و "الأذلّ" فجعل المنافقون "الأعزّ" كناية عن أنفسهم، و "الأذلّ" كناية عن المؤمنين، ثم رتّبوا على صفة "الأذلّ" الإخراج، أى كون المؤمنين مستحقين للإخراج عن المدينة، وهذا هو الحكم الثابت لأجل صفة العزّة لهم، ورتّبوا أيضًا على صفة العزّة كونهم باقين فى المدينة، والساكنين فيها، والمتصرّفين فى أمورها، فأثبت الله تعالى صفة العزّة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين، وبقى للمنافقين صفة الذلّة، ولكن سكت الله عن حكم العزّة وهو الإخراج، فإنه إذا ثبت علّة الإخراج وهى العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، فيثبت حكمها طبعًا ولازمًا، يعنى المُخرِج هو الله ورسوله، والمؤمنون لأنّ العزّة لهم، والمُخرَج المنافقون لأنهم أذلاء.

فدليلهم أن الأعزّ يخرج الأذلّ صحيح، وأما دعواهم أن الأعزّ هو المنافقون، فهذا خطأ؛ لأن الأعزّ هو الله ورسوله والمؤمنون، وأمّا المنافقون فهم الأذلاء واجب الإخراج.

والثانى: هو حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده الذى يحتمله اللفظ، وإنما يُفعل كذلك لذكر متعلّق خلاف المراد، كقول الشاعر:

قلتُ ثقّلتُ إذا أتيتُ مرارًا قال ثقّلتَ كاهلى بالأيادى

أى حملتك على المشقّة بكثرة زيارتى ومجيئى إلى دارك فصرتُ ثقيلا عليك، فيصرفه المخاطب إلى معنى آخر، يعنى نعم، إنّك ثقّلتَ كاهلى بما أكثرتَ علىّ من النعم، فأراد من الثقل كثرة النعم لا المشقة.

وقد يسمّى "القول بالموجب" بعض البلغاء بالأسلوب الحكيم، وهو تلقى المخاطب أو إجابته بغير ما يترقب أو يريد، إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإمّا بحمل كلامه على غير مراده، وإنما يفعل كذلك إشارةً إلى أن المناسب بحاله أن يسأل عن هذا، أو يقصد من كلامه هذا، كما فى

قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الأهلّة قل هى مواقيت للناس والحج﴾.

٣١- الاطّراد

ومن آخر المحسّنات المعنوية (على ترتيب القزوينى فى "الإيضاح" الاطّراد) وهو فى اللغة : سهولة جريان الماء.

وفى الاصطلاح : هو أن يذكر اسم الممدوح (أو غيره) واسم من يمكن من آباءه على ترتيب الولادة من غير تكلّف فى النظم والسّبك، حتى تكون الأسماء فى تحدّرها وسرعة أداءها كالماء الجارى فى اطّراده وسهولة انسجامه، مثاله قول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثللتَ عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

الخطاب فى "يقتلوك" للمقتول، أى لا فخر لهم لأنّك قد أهلكت رئيسهم وأسقطت أساس مجدهم؛ لأنّا قتلنا بدلك رئيسهم عتيبة بن الحارث ابن شهاب، وقول الشاعر :

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن يزيد بن قارب

أى أخذنا ثأرنا وقتلنا بعوض عبد الله خير نظراءه وأمثاله فى السنّ، وهو ذؤاب بن أسماء بن يزيد بن قارب، ومنه قوله عليه السلام : «الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

التمرين

١ - مثّل لتأكيد المدح بما يشبه الذمّ، ولتأكيد الذم بما يشبه المدح.

٢ - بيّن الشاهد فى قول الشاعر :

نَهبتَ من الأعمار ما لو حويته　　لَهُنِئَتِ الدنيا بأنك خالد

٣ - اذكر تعريف الإدماج لغةً واصطلاحًا.

٤ - عرّف التوجيه وبيّن محل الاستشهاد فى البيت الآتى :

خاط لى عمرو قباء　　ليت عينيه سواء

٥ - ما هو الهزل الذى المراد منه الجدّ؟ مثّل له.

٦ - اذكر نكات تجاهل العارف، كم هى؟

٧ - وضّح القول بالموجب، وقدّم له مثالا.

٨ - قدّم للاطّراد مثالا من الشعر، ومثالا من الحديث.

المحسّنات اللفظية

١ - الجناس: ومنها الجناس، ويسمّى التجنيس أيضًا، وهو فى اللغة: مصدر من قولهم: جانس الشىء شيئًا آخر، أى شاكله واتّحد معه فى الجنس.

واصطلاحًا: هو تشابه الكلمتين فى اللفظ، أى التلفظ مع اختلافهما فى المعنى.

وأمّا التشابه فى المعنى، نحو أسد وسبع، أو التشابه فى مجرد العدد، نحو ضَرَبَ وعَلِمَ أو فى مجرد الوزن، نحو ضرب وقتل، فليس من الجناس.

أقسام الجناس:

وله خمسة أقسام: وهى التامّ، والمحرّف، والناقص، والمضارع، والمقلوب.

١ - فالجناس التامّ: هو اتفاق اللفظين فى أربعة أمور: فى أنواع الحروف، وفى عددها، وفى هيئتها، وفى ترتيبها، نحو "الساعة" بمعنى القيامة، و "الساعة" بمعنى الوقت، فيفرح ويمرح ليس بينهما جناس تامّ لاختلاف نوعى الفاء والميم، وكذا بين "الساق" و "المساق" ليس جناس تام لاختلاف عدد الحروف، وكذا ليس جناس تام بين "البُرْدِ" و "البَرْدِ" لاختلاف الهيئة، كما أنه ليس جناس تامّ بين "الحتف" و "الفتح" لعدم الترتيب.

أقسام الجناس التام الأولية : وهو على نوعين : الجناس المماثل ، والجناس المستوفى.

١ - فالجناس المماثل : هو أن يكون اللفظان (بعد الاتفاق فى الأمور الأربعة السابقة) من نوع واحد ، بأن يكونا اسمين ، أو فعلين ، أو حرفين.

مثال المماثل قوله تعالى : ﴿يوم تقوم السّاعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾.

٢ - والجناس المستوفى : هو أن يكونا من نوعين : أى من اسم وفعل ، أو اسم وحرف ، أو فعل وحرف ، وسمّى مستوفى ؛ لاستيفاء كلّ من اللفظين أوصاف الآخر ، كما أن الأول يسمّى مماثلا لاتحادهما فى النوع ، والمماثلة عند المتكلمين هو الاتحاد فى النوع.

مثال الجناس المستوفى قول الشاعر :

ما مات من كرم الزمان فإنّه ... يحيى لدى يحيى بن عبد الله

فالأول فعل والثانى اسم ، وكذا قول الشاعر :

وسمّيته يحيى ليحيى فلم يكن ... إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

الأقسام الثانوية للجناس التامّ

والجناس التام إذا كان أحد اللفظين فيه مفردًا ، والآخر مركّبًا (أى مركبًا من كلمتين ، أو كلمة وبعض كلمة) يسمّى جناس التركيب (كما أن فى صورة اللفظين المفردين يسمّى جناس الإفراد).

ثمّ جناس التركيب على قسمين : متشابه ومفروق ، فالمتشابه : هو الذى اتّفق فيه اللفظان (المفرد والمركب) فى الخط ، كقول الشاعر :

إذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة

ففى الأول "ذا هبةٍ" مضاف ومضاف إليه، فهو مركّب، وفى الثانى "ذاهبةٌ" مفرد وهو اسم الفاعل، ويقال له: المتشابه لتشابه اللفظين فى الخط.

والمفروق: هو الذى لم يتفق فيه اللفظان فى الخط، كقول الشاعر:

كلكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا

ما الذى ضرّ مدير الجام لو جاملنا

ففى الأول مركب من اسم هو "جام" وجار مجرور وهو "لنا"، وفى الثانى مفرد وفعل وهو "جاملنا".

وسمّى بالمفروق لافتراق اللفظين فى صورة الكتابة، ومثال المركب من كلمة وبعض كلمة قول القائل: "أهذا مصاب أم طعم صاب" المصاب: قصب السكر، والصاب: عصارة شجر مرّ، فالأول مصاب كلمة، والثانى مركب من ميم "طعم"، وهو بعض الكلمة ومن "صاب" وهو كلمة.

ويسمّى هذا القسم من الجناس التام بـ"الجناس المرفوء" لرفوء وجمع بعض الكلمة إلى بعض، والرفوء هو إصلاح الثوب وجمع بعض قطعاته إلى بعض.

٢- والجناس المحرّف: هو الذى اختلف فيه اللفظان فى الهيئة فقط (أى دون الأمور الثلاثة الباقية من أنواع الحروف وعددها وترتيبها) بأن كانت هيئة أحدهما غير هيئة الآخر، ويسمّى "محرّفًا" لانحراف هيئة أحد اللفظين عن هيئة الآخر.

واختلاف الهيئة يكون على قسمين: ١- اختلاف الهيئة بالحركة، كقولهم: "جُبّة البُرد جِنّة البَرد" الأول بالضم والثانى بالفتح، أى الجبّة المصنوعة من البُرد تكون كالجنة فى أيام البَرد، فالاختلاف بين البُرد والبَرد.

(٢) واختلاف الهيئة بالسّكون كما فى قولهم: "الجاهل إمّا مفرطٌ أو

مفرّط" الأول بسكون الفاء، والثانى بفتحه.

والحرف المشدّد يعتبر فى التلفظ حرفًا واحدًا، فليس من قسم اختلاف العدد لأجل التشديد والتخفيف.

وقد يكون الاختلاف (فى الجناس المحرّف) بالحركة والسكون جميعًا، كما فى قولهم: "البدعة شرك الشرك" بفتح الشين فى الأول، وكسرها فى الثانى، وكذلك بفتح الراء فى الأوّل، وسكونها فى الثانى.

٣- **والجناس الناقص**: هو الذى اختلف فيه اللفظان فى العدد فقط (دون الأنواع والهيئة والترتيب) بأن يكون حروف أحدهما أكثر من الآخر.

أنواع الجناس الناقص

وهو باعتبار نقصان عدد الحروف على قسمين: أحدهما: أن يختلفا (اللفظان المتجانسان) بزيادة حرف واحد، إمّا فى الأول، كما فى قوله تعالى: ﴿والتفّت السّاق بالسّاق إلى ربك يومئذٍ المساق﴾، فالميم زائدة فى أوّل لفظ "المساق".

وإمّا (بزيادة حرف واحد) فى الوسط، كقولهم: "جدّى جهدى" أى حظى أو غنائى فى سعى ومشقتى، وإمّا فى الآخر، كقول الشاعر:

يمدّون من أيدٍ عواص عواصم تصول بأسياف قواضٍ قواضب

أى يمدّون أيدى ضاربات (بالعصا والسيف) الأعداء وحاميات للأولياء صائلات على الأقران بسيوف حاكمة بالقتل (أو بين الحق والباطل) قاطعةً رؤوس الأعداء، فالجناس بين "عواصٍ" و "عواصم" بزيادة الميم فى الآخر، وكذا بين "قواضٍ" و "قواضب" بزيادة الباء فيه.

٢- وثانيهما : أن يختلف اللفظان بزيادة أكثر من حرف واحد، كقول الخنساء :

إن البكاء هو الشفا ء من الجوى بين الجوانح

قالت في جواب من لامها على البكاء على أخيها صخر : أي البكاء هو الذي يشفي من حرقة القلب الذي بين الضلوع، فالجناس بين "الجوى" و "الجوانح"، فالزائد في الثاني النون والحاء، وربما يسمّى هذا القسم (الذي فيه الزائد أكثر من حرف واحد) مذيّلا لأن تلك الزيادة كالذيل للكلمة.

٤- **الجناس المضارع**: هو الذي يكون الاختلاف فيه بين اللفظين في أنواع الحروف فقط (دون العدد والترتيب والهيئة)، وشرطه أن لا يقع الاختلاف في أكثر من حرف واحد (لأنه لو كان الاختلاف في أكثر من حرف واحد لا يبقى الجناس بين اللفظين مضارعًا)، وإنما يسمّى الجناس مضارعًا إذا كان الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج؛ لمشابهة حرف كل لفظ حرف اللفظ الآخر (في المخرج).

أنواع الجناس المضارع: والحرفان المتقاربان في المخرج، ١- إمّا يكونان في أوّل اللفظين، كما في قول الحريري : "بيني وبين كَنّي ليل دامس، وطريق طامس" فالاختلاف بين الدال والطاء، وهما متقاربان في المخرج، وواقعان في أوّل اللفظين -أي بيني وبين بيتي ليل مظلم، وطريق مطموس العلامات لا يهتدي إليه أحد-

٢- وإمّا يكونان في الوسط، نحو قوله تعالى : ﴿وهم ينهون عنه وينئون عنه﴾ فالهاء والهمزة متقاربان في المخرج، وواقعان في الوسط.

٣- وإمّا في الآخر نحو قوله عليه السلام : «الخيل معقود بنواصيها الخير» فالاختلاف بين اللام والراء، وهما متقاربان مخرجًا، وواقعان في الآخر.

وإذا كـان الحرفـان المختلفان غيـر مـتقاربين فى المخرج سـمّى الجناس لاحـقًا، فـهـمـا إمّا فى أول اللفظ، كـمـا فى قـوله تعـالـى: ﴿ويل لكل همـزة لمزة﴾، فـالاختلاف بين الهـاء واللام، وهما غيـر متقاربين، وواقعـان فى أول اللفظين.

وإمّا فى وسطه، نحـو قـولـه تعـالـى: ﴿ذلكم بما كنتم تفـرحـون فى الأرض بغـيـر الحق وبما كنتم تمرحـون﴾، فـالفـاء والميم مختلفان مخـرجًا، وواقعان فى الوسط.

وإمّا فى الآخر، نحو قوله تعالى: ﴿فإذا جاءهم أمر من الأمن﴾ فالراء والنون مختلفان مخرجًا، وواقعان فى الآخر.

٥- جناس القلب وأقسامه: وهو الذى يكون فيه اللفظان مختلفين فى ترتيب الحـروف فقط، أى يتحدان فى النوع والعدد والهيئة، وله ضربان:

(١) قلب الكل، كـقـولهـم: "حسامه فتح لأوليـاءه وحتف لأعـداءه" وفى الأول الفاء مقدم، وفى الثانى مؤخر.

(٢) وقلب البعض، كما فى الحديث الشريف: «اللهم استر عـوراتنا وآمن روعـاتنا» فـفى الأول العين قـبل الـواو، وفى الثـانى بعـده، فـالقلب (خـلاف التـرتيب) بين العين والواو، وكـذا قـول بعضـهـم: "رحـم الله امـرءً أمسك ما بين فكّيه، وأطلق ما بين كفّيه".

(٣) ومن جناس القلب المجنّح: وهو الذى وقع فيه أحد المتجانسين فى أوّل البيت، والآخـر فى آخـره، ويسـمّى هذا القسم مـقلوبًا مـجنّحًا؛ لأن المتجانسين بمنزلة جناحين للبيت، مثاله قول الشاعر:

لاح أنـوار الهـــــدى　　من كـــفّه فى كل حـــال

فـالجناس بين "لاح" وهو فى أول البـيـت، وبين "حـال" وهو فى آخـر البيت، وترتيبهما مختلف.

ومن الجناس الأقسام الثلاثة الآتية: ١ - الجناسُ المُزدوَج : وهو الذى اتّصل فيه أحد المتجانسين بالآخر (فى أىّ جناس كان) ويسمّى مكرّرًا ومردّدًا أيضًا، كما فى قوله تعالى: ﴿وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾، فالجناس بين "سبإ" و "نبإ" والحرفان (السين والنون) مختلفان نوعًا ومخرجًا.

٢- جناس الاشتقاق: وهو أن يجمع اللفظين الاشتقاق، كما فى قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين القيّم﴾ فإن "أقم" و "قيم" مشتقان من "قام"، وكذا قوله عليه السلام: «الظلم ظلمات يوم القيامة».

٣- جناس شبه الاشتقاق: وهو الذى جمع بينهما شبه الاشتقاق، كما فى قوله تعالى: ﴿قال إنى لعملكم من القالين﴾، فبين "قال" و "قالين" شبه الاشتقاق، فإن الأول من القول، والثانى من القلى، وبينهما شبه الاشتقاق صورةً.

التمرين

١- عرّف الجناس، واذكر أقسامه.

٢- ما هو الفرق بين الجناس المماثل والمستوفى؟

٣- اذكر محلّ الاستشهاد فيما يأتى:

يمدّون من أيدٍ عواصٍ عواصم تصول بأسياف قواضٍ قواضب

٤- ما ذا تعرف عن جناس القلب؟ وكم قسمًا له؟

٥- مثّل لجناس المجنّح والاشتقاق وشبه الاشتقاق والمزدَوج.

٢- رد العجز على الصدر

ومنها ردّ العجز على الصدر، وهو (فى النثر) أن يجعل أحد اللفظين المكررين (المتفقين فى اللفظ والمعنى)، أو المتجانسين (المتشابهين فى اللفظ دون المعنى)، أو الملحقين بالمتجانسين لأجل الاشتقاق أو شبه الاشتقاق فى أوّل الفقرة، والآخر فى آخرها، مثاله قوله تعالى: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾، ومنه قولهم: "الحيلة ترك الحيلة" وقولهم: "سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل"، وقوله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنّه كان غفّارًا﴾، وقوله تعالى: ﴿قال إنى لعملكم من القالين﴾.

ردّ العجز على الصدر فى النظم: هو أن يكون أحد اللفظين المذكورين (أى المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما) فى صدر المصراع الأوّل، أو حشوه، أو آخره أو فى صدر المصراع الثانى، والآخر فى آخر المصراع الثانى، كما فى قول الشاعر:

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

العرار: وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة، أى استمتع بشمّ وردة نجد، فإنك لا تجد بعد العشية عرارًا، وكذا قول الشاعر:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرمًا فما زالت بالبيض القواضب مغرمًا

أى من كانت لذته بتحمل الغرامة لأجل الجوارى البيض الناهدة الثدى، فلا ألتفت إليه لأن لذتى بمخالطة السيوف البيض القاطعة.

٣- السجع

ومنها السجع وهو فى اللغة : عبارة عن هدير الحمام، وعن مدّ الناقة حنينها على جهة واحدة، ومنه يقال : "سجعت الناقة".

وفى الاصطلاح : هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد فى الآخر، فالسجع فى النثر كالقافية فى النظم، أى كما أن القوافى هى الألفاظ المتوافقة فى أواخر الأبيات، كذلك الأسجاع هى الألفاظ المتوافقة فى أواخر الفِقَر.

أقسام السجع: وله ثلاثة أقسام : مطرّف، ومرصّع، ومتوازٍ.

١ - فالسجع المطرّف : هو أن تختلف الفاصلتان فى الوزن، نحو قوله تعالى : ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارًا وقد خلقكم أطوارًا﴾ فوزن "وقارًا" غير وزن "أطوارًا" وسمّى مطرّفًا لأن التوافق فى الطرف -فى آخرهما- وهو الراء مع الألف.

٢- والسجع المرصّع : هو أن لا تختلف الفاصلتان، ولكن كان ما فى إحدى القرينتين أو القرائن مثل ما يقابله من القرينة الأخرى فى الوزن والتقفية (أى متوافقتين فى الحرف الأخير) وإنما سمّى مرصّعًا لحسنه وجماله، مثاله قول الحريرى : "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه" فجميع ما فى القرينة الثانية (ويقرع الأسماع بزواجر وعظه) موافق لما يقابله من القرينة الأولى، وأمّا لفظ "فهو" فى القرينة الأولى فلا يقابله شىء.

٣- والسجع المتوازى : هو أن لا يكون جميع ما فى القرينة (أو القرائن)

مثل ما يقابله من القرينة الأخرى، وإنما سمّى المتوازى لتوازى الفاصلتين فى الوزن، والتقفية (التوافق فى الحرف الأخير)، مثاله قوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة﴾، فالفاصلتان (مرفوعة وموضوعة) متفقتان، ولكن بين "سرر" و "أكواب" اختلاف فى الوزن والتقفية، فليس جميع ما فى إحدى القرينتين مثل ما فى الأخرى.

ويرى بعض العلماء أن السجع غير مختصّ بالنثر، بل يوجد فى النظم أيضًا، مثاله قول الشاعر:

تجلّى به رشـــدى وأثرت به يدى　　وفاض به ثمدى وأورى به زندى

أى ظهر بسبب هذا الممدوح رشدى وهدايتى إلى المقاصد، وصارت يدى بسببه ذات ثروة ومال كثير، وسال به مائى القليل، أى كثر، وصار به زندى ذا نار، يعنى صار بيتى لأحله معمورًا.

٤- وللسجع قسم رابع عند من يقول بعموم السجع فى النثر والنظم، ويسمّى هذا القسم بالتشطير، وهو أن يجعل لكلّ من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها، كقول أبى تمام:

تدبيـر مـعـتـصـم بالله منتـقـم　　لله مـرتغب فى الله مـرتقب[1]

فالشطر الأول سجعة مبنية على الميم، والثانى سجعة مبنية على الباء، فتدبر معتصم مبتدأ، وخبره ما يأتى بعده فى البيت الثالث، أى تدبير الممدوح الذى لقبه معتصم بالله، ومنتقم من أعداءه لرضاء الله، وراغب فيما يحصل به رضوان الله، ومنتظر ثوابه، أو تدبير معتصم خبر لمبتدأ محذوف، يعنى ذلك تدبير معتصم.

---

(١) وتمامه:

لم يرم قومًا ولم ينهد إلى بلد　　إلا تقدّمه جيش من العرب

٤- الموازنة

ومنها الموازنة : وهى تساوى الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو المصراعين فى الوزن دون التقفية ، كقوله تعالى : ﴿ونمارق مصفوفة وزرابىّ مبثوثة﴾ ، فإن "مصفوفة" و "مبثوثة" متساويان فى الوزن دون التقفية ؛ إذ تقفية الأولى على الفاء ، والثانية على الثاء ، ولا عبرة بتاء التأنيث فى القافية.

وأمّا المماثلة : فهى أن يكون جميع ما فى إحدى القرينتين (من الألفاظ) أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى فى الوزن.

مثال المماثلة فى أكثر ما فى القرينتين قوله تعالى : ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم﴾ والمماثلة هنا فى الأكثر لا فى الجميع ؛ لعدم التماثل بين "آتينا" و "هدينا" ، ومثال المماثلة فى الأكثر فى النظم قول الشاعر :

مها الوحش إلا أنّ هاتا أوانس   قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

أى هذه النسوة كالبقرات الوحشية فى الحسن والجمال ، إلا أن هذه النسوة يأنسن ويتحدثن بالمحبة ، وهن كالرماح المصنوعة فى الخط (اسم موضع بالبحرين فى القديم) فى استقامة قدهن إلا أن تلك الرماح ذوابل ليس فيها نعومة ونضارة مثل النساء ، ولعدم التماثل بين "هاتا" و "تلك" فى البيت ، قلنا : هذا مثال للتماثل فى الأكثر.

٥- القلب

ومنها القلب وهو فى اللغة: جعل الشىء معكوسًا، مثل قلب الإناء، وفى الاصطلاح: هو كون الكلام بحيث لو عكسته وبدأت من حرفه الأخير إلى الأول كان الحاصل هو نفس الكلام الأول، ويجرى القلب فى النظم والنثر كليهما، مثاله فى النظم قول الشاعر:

مـــــودته تدوم لكل هول   وهل كل مـــــودته تدوم

وفى مجموع البيت قلب كما لا يخفى، ومثاله فى النثر قوله تعالى: ﴿كلّ فى فلك﴾، وقوله تعالى: ﴿ربّك فكبّر﴾ وقد مرّ أن الحرف المشدّد فى حكم المخفف فى أمثال هذه الأمور.

٦- التشريع

ومنها التشريع وهو فى اللغة: وضع سنّة وطريقة، وفى الاصطلاح: بناء البيت على قافيتين، يصحّ الوزن والمعنى عند الوقوف (أى التوقف) على كل منهما، ويسمّى "التوشيح" و "ذا القافيتين" أيضًا، وهو (التشريع) مخصوص بالشعر، مثاله قول الشاعر:

يا خاطب الدنيا الدنيئة إنها   شَرَكُ الردى وقرارة الأكدار

أى يا طالب الدنيا الخسيسة إنها حبالة الهلاك ومقرّ الكدورات ومنبعها.

ففى هذا البيت لو وقفتَ على "الردى"، فالبيت من الضرب الثامن من الكامل، وإن وقفتَ على "الأكدار" فهو من الضرب الثانى منه.

تعريف القافية: وهى عند الخليل من آخر حرف البيت إلى أوّل ساكن يليه مع الحركة التى قبل ذلك السّاكن، فالقافية الأولى من البيت السّابق هو لفظ "الردى" مع حركة الكاف من "شَرَكَ"، والقافية الثانية هى من حركة دال "الأكدار" إلى الآخر.

٧- لزوم ما لا يلزم

ومن آخر المحسّنات اللفظية لزوم ما لا يلزم، ويعبّر عنه بـ"الالتزام" و "التضمين" و "التشديد" و "الإعنات" (يعنى التزام ما لا يلزم، وتضمين القافية ما ليس لها بلازم، وإيقاع المتكلم نفسه فى الشدّة والمشقة).

تعريف لزوم ما لا يلزم: وهو أن يأتى قبل حرف الروى (الواقع فى قوافى الأبيات) أو ما فى معناه (من الحرف الواقع فى الفاصلة) ما ليس بلازم فى السجع، أى يتمّ السجع فى النثر والنظم بدون التزام ذلك الحرف الزائد أو الحركة الزائدة).

وما يأتى قبل حرف الروى أو ما فى معناه قد يكون حرفًا، وقد يكون حركةً، وقد يكون حرفًا وحركةً، مثاله فى النثر قوله تعالى: ﴿فأمّا اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر﴾، فالراء فى الفاصلتين فى معنى حرف الروى، ومجىء "الهاء" قبله فى الفاصلتين لزوم ما لا يلزم؛ لصحة السجع بدون الهاء، نحو فلا "تنهر" ولا "تسخر" ولا "تنحر"، فالسجع فى "تسخر" و "تنحر" صحيح مع أن الهاء فيهما غير موجود، ومثاله فى النظم قول الشاعر:

سأشكر عمرًا إن تراخت منيتى أيادى لم تمنن وإن هى جلّتِ

فتًى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذ النعل زلّتِ
رأى خلّتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّتِ

فحرف الروى -هو التاء- قد جيء قبله بلام مشدّدة مفتوحة (أى قبل التاء حرف وحركة) وهذا المجيء ليس بلازم فى السجع ؛ لصحته بدون التاء وحركته، نحو جلّتِ، ومدّتِ ومنّتِ وانشقّتِ، فإن فى الألفاظ الأخيرة السجع صحيح بدون اللام وفتحه، فلا فرق بين وجود اللام (كما فى جلّت) وبين عدمه كما فى الثلاثة الأخيرة، فذكر اللام لزوم ما لا يلزم.

التمرين

١ - عرّف ردّ العجز على الصدر فى النثر والنظم على حدةٍ على حدةٍ.

٢ - اذكر مثالين لردّ العجز على الصّدر.

٣- ما هو المطرّف والمرصّع والمتوازى؟

٤ - ما هو الفرق بين الموازنة والمماثلة؟

٥ - اذكر مثالين للقلب نظمًا ونثرًا.

٦- عرّف التشريع، وقدّم له مثالا من النظم.

٧- مثّل للزوم ما لا يلزم نظمًا ونثرًا.

خاتمة فى السرقات الشعرية وغيرها

وأتبرك (فى إيراد الخاتمة) بما ذكره (الخطيب) القزوينى فى "الإيضاح (صـ٤٠٩) وأقول: "هذا ما تيسّر -بإذن الله تعالى- جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث -علم البديع- وبَقِيَت أشياء يذكرها بعض المصنفين، ولا بأس بذكر بعضها لاشتماله على فائدة، وممّا لا بأس بذكره القول فى السرقات الشعرية، وما يتّصل بها من (الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحلّ، والتلميح و) القول فى الابتداء، والتخلّص، والانتهاء، فنذكر الأمور التسعة بالترتيب والإيجاز، إن شاء الله تعالى.

١- السّرقات ا لشعرية: كما أن الفقراء والأذلاء وأصحاب النفوس الرذيلة يسرقون الأموال والأشياء النفيسة، كذلك الشعراء الضعفاء والعاجزون عن الإتيان بالشعر أو الكلام البليغ يسرقون كلام غيرهم، أى ينسبون إلى أنفسهم، ويتفاخرون به، فأفعالهم هذه يقال لها: "السرقات الشعرية".

أقسام السرقة فى الكلام: فأخذ كلام الغير سرقةً نوعان: ظاهر وغير ظاهر.

١- فالأخذ الظاهر: هو أن يأخذ المعنى (من كلام غيره) كلّه، إمّا مع اللفظ كلّه أو بعضه، وإمّا المعنى وحده، فإن كان المأخوذ المعنى مع اللفظ كلّه من غير تغيير لنظمه، فهو مذموم ومردود؛ لأنه سرقة محضة، ويسمّى هذا الأخذ نسخًا وانتحالا، لأن القائل الثانى نسخ كلام الأول، أى نقله ونسبه إلى نفسه (والنسخ لغةً هو النقل) ولأنه ادّعى كلام الغير لنفسه، والانتحال

هو ادّعاء شيء الغير لنفسه، مثال السرقة المذمومة في الشعر: ما حكى أن عبد الله بن الزَبيْر (كأمير) دخل على معاوية رضي الله عنه وأنشده-:

إذا أنتَ لم تنصف أخاك وجدته — على طرف الهجران إن كان يعقِلُ

ويركب حدّ السّيف من أن تضيمه — إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحِلُ

فقال له معاوية رضي الله عنه: لقد شعرتَ بعدي يا أبا بكر(١)، أي صرت شاعرًا، مع أنك لم تكن من الشعراء، ولمّا يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني، فأنشد قصيدته التي أوّلها:

لعمرك ما أدري وإنّي لأوجل — على أيّنا تغدو المنية أوّل

حتى وصل إلى البيتين الذين أنشدهما عبد الله بن الزَبيْر، فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير، وقال: ألم تخبرني أن هذين البيتين لك؟ فقال عبد الله أولا: المعنى لي واللفظ لمعنٍ، وثانيًا: أنه أخي من الرضاعة، وأنا أحق بشعره.

مثال تبديل كلمات كلام الغير بما يرادفها قول الشاعر:

ذر المأثر لا تذهب لمطلبها — واجلس فإنك أنت الآكل اللابس

فإنّه بدّل وسرق قول الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيها — واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

٢- والأخذ غير الظاهر له أنواع: ١- منه أن يشابه المعنيان (معنى البيت الأول، ومعنى البيت الثاني) مثاله قول جرير:

فلا يمنعك من أربٍ لحاهم — سواء ذو العمامة والخمار

أي لا يمنعك عن حاجتك كونهم على صورة الرجال، فإن الرجال والنساء منهم سواء في الضعف.

٢- ومنه النقل: وهو أن ينقل معنى كلام الشاعر الأول إلى غير محلّه،

---

(١) كنية عبد الله بن الزبير.

كقول البحترى فى مدح الجرحى والقتلى :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمّرةً فكأنهم لم يسلبوا

فنقله أبو الطيب إلى مدح السيف، وقال :

يَبِسَ النجيع عليه وهو مجرّد عن غمده فكأنما هو مُغمَد

٣- ومنه أن يكون معنى كلام الشاعر الثانى أشمل من الأول، كقول جرير :

إذا غضِبَتْ عليك بنو تميم وجدتَ الناس كلّهم غضابًا

انظر إلى قول أبى نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

فإنه أشمل من معنى بيت جرير لأنه يشمل الناس وغيرهم.

٤- ومنه القلب : وهو أن يكون معنى الكلام الثانى نقيض معنى الكلام الأول، مثاله كقول أبى الشيص :

أجد الملامة فى هواكِ لذيذة حبًّا لذكرك فليلمنى اللوّم

وقول أبى الطيب :

أأحبّه وأحبّ فيه ملامةً إنّ الملامة فيه من أعداءه

وهذا نقيض معنى بيت أبى الشيص، ولكن كلّ منهما باعتبار آخر، ولذا قالوا : الأحسن أن يبيّن الآخذ السّبب.

٥- ومنه أن يؤخذ بعض المعنى (من كلام الغيَر) ويضاف إليه زيادة تحسّنه، كما فى قول الأفوه الأودى :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقةً أن ستمار

أى ترى أنت الطير الطامعة للحوم على آثارنا بعينيك لأجل وثوق الطير بأنها ستطعم من لحوم القتلى، فتأتى خلفنا.

وقول أبى تمام :

وقد ظلّلت عقبان أعلامه ضحّى　　بعقبان الطير في الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنّها　　من الجيش إلا أنها لم تقاتل

أي قد وقع الظل فى وقت الضحى على أعلامه [١] التى هى كالعقبان فى اللون والصورة لأجل عقبان هى من الطير، وقد روين (ضدّ العطش) من دماء المقتولين، أى شربن كثيرًا من دماءهم.

وأقامت العقبان مع الرايات حتى كأنّها جماعة من الجيش، إلا أنها لم تقاتل مع الجيش.

٢- **الاقتباس ومفهومه**: وهو أن يجعل المتكلم شيئًا من القرآن أو الحديث جزءً من كلامه من غير أن يصرّح بأنه كلام الله أو كلام رسوله.

١- مثال الاقتباس من القرآن فى النثر قول الحريرى: "فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى أنشد فأغرب" فإن "إلا كلمح البصر أو هو أقرب" مقتبس من سورة النمل آية ,٧٧

٢- ومثاله من القرآن فى النظم قول الشاعر:

إن كنتِ أزمعتِ [٢] على هجرنا　　من غير ما جرم فصبر جميل

وإن تبدّلتِ بنا غيرنا　　فحسبنا الله ونعم الوكيل

"فصبر جميل" مقتبس من سورة يوسف آية ١٨، و "حسبنا الله ونعم الوكيل" مقتبس من سورة آل عمران آية ,١٧٣

٣- ومثال الاقتباس من الحديث فى النثر قول الحريرى: "شاهت الوجوه، وقبّح اللكع ومن يرجوه" فإن قوله: "شاهت الوجوه" لفظ الحديث لأنه روى لما اشتدت الحرب يوم حنين أخذ النبى ﷺ كفًّا من الحصا، فرمى بها فى وجوه المشركين، وقال: "شاهت الوجوه" و "اللكع" اللئيم ومن يرجوه

---

(١) راياته.

(٢) أى عزمتِ على هجرنا.

أى من يرجو من اللئيم خيراً.

٤ - ومثال الاقتباس من الحديث فى النظم قول الشاعر :

قال لى إن رقيبى سيّئ الخلق فداره   قلتُ دعنى وجهك الجنة حفت بالمكاره

٣- التضمين وتعريفه: وهو أن يضمّن الشاعر كلامه شيئًا من شعر غيره مع التنبيه عليه، كقول الحريرى فى حكايته عن قول الغلام الذى قدّمه أبو زيد السروجى للبيع :

أضاعونى سأنشد عند بيعى   أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا

والمصراع الثانى فيه لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وأحسن أنواع التضمين ما زاد على الأصل (أى على شعر الشاعر الأول) بنكتة لا توجد فى الأصل كالتورية والتشبيه كما فى قول الشاعر :

إذا الوهم أبدي لى لماها وثغرها   تذكّرتُ ما بين العُذَيب وبارق

ويذكرنى من قدّها ومدامعى   مجرّ عوالينا ومجرى السوابق

فإنّ المصراعين الأخيرين لأبى الطيب.

شرح البيتين : أى أظهر الوهم لى حمرة أو سمرة شفتيها وأظهر أسنانها حين تذكرت الموضع الواقع بين العذيب وبارق، وكذلك يذكّرنى الوهم من قدّها، ومن دموعى جرّ الرماح وجريان الخيل السوابق، والمعنى أنهم كانوا نازلين بين هذين الموضعين، وكانوا يجرّون الرماح عند مقابلة الفرسان ويسابقون على الخيل.

فقوله : "تذكّرتُ ما بين العُذَيب وبارق" وقوله : "مجرّ عوالينا ومجرى السوابق" مطلع قصيدة لأبى الطيب، ولكن الشاعر الثانى أراد بـ "العذيب" تصغير العذب وهو شفةُ الحبيب، وبـ "بارق" أراد أسنانها الشبيهة بالبرق، وبـ "ما بينهما" ريقها، وكلّ هذا تورية، لأنه أراد بها معانيها البعيدة، وشبّه تبختر قدها بتمايل الرماح، وشبّه تتابع دموعه بجريان الخيل السوابق، ففى

المضمّن زيادة على الأصل بالتورية والتشبيه.

(١) وإذا ضمّن الشاعر البيت فما زاد سمّى تضمينه استعانةً، كأنه استعان عن غيره بانضمام شعره إلى كلامه.

(٢) وإذا ضمّن المصراع فما دونه سمّى تضمينه إيداعًا، كأنه أودع فى شعره شيئًا قليلا من شعر غيره، وسمّى هذا الثانى رفوءً أيضًا، كأنه رفأ وأصلح خرق شعره بشىء من شعر غيره.

٤- العقد وتعريفه: وهو لغةً: الربط بين الحبلين، واصطلاحًا: هو جعل النثر نظمًا، (آية كان ذلك النثر، أو حديثًا، أو مثلا، أو حكمةً) لا على طريق الاقتباس، بل يغيّر لفظ القرآن والحديث فيه تغييرًا كثيرا، ويشير إلى كون اللفظ من القرآن أو الحديث، مثال عقد الآية كقول الشاعر:

أنلنى بالذى استقرضت خطًا ... وأشهد معشرا قد شاهدوه

فإنّ الله خلاق البريا ... عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول إذا تداينتم بدين ... إلى أجل مسمّى فاكتبوه

ومثال عقد الحديث هو قول الإمام الشافعى رح:

عمدة الخير عندنا كلمات ... أربع قالهنّ خير البرية

اتّق الشبهات وازهد ودع ما ... لا يعنيك واعمل بنية

حيث عقد (١) قوله عليه السلام: «الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات» (٢) وقوله عليه السلام: «وازهد فى الدنيا يحبّك الله» (٣) وقوله عليه السلام: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (٤) وقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات».

٥- الحلّ: وهو لغةً: ضدّ العقد أى فتحه، واصطلاحًا: هو جعل النظم نثرًا، وله شرطان: الأول: أن يكون سبكه وصوغه مختارًا بحيث لا يكون قاصرًا عن سبك النظم.

والثانى : أن يكون حسن الموقع (فى ذهن السامع) مستقرًا فى محلّه غير موجب للاضطراب، مثاله قول بعض المغاربة : "فإنه لمّا فتحت فعلاته، وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظنّ يقتاده، ويُصدّق توهمه الذى يعتاده"، فإنّه حلّ (جعل نثرًا) قول أبى الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه　　وصُدِّق ما يعتاده من توهّم

فأبو الطيب يشكو فى بيته هذا سيف الدولة، حيث يسمع قول أعداء أبى الطيب.

٦- التلميح: وهو فى اللغة مأخوذ من "لَمَحَه" إذا أبصره ونظر إليه، يعنى معناه النظر إلى شىء والإشارة إليه.

وفى الاصطلاح : هو عبارة عن الإشارة إلى قصة، أو شعر، أو مثل سائر من غير ذكره، مثال الإشارة إلى قصة كما فى قول أبى تمام :

فوالله ما أدرى أأحلام نائم　　ألمّت بنا أم كان فى الركب يوشع

أشار أبو تمام إلى يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام، وإلى استيقافه[1] الشمس حينما كان يقاتل الجبّارين يوم الجمعة، ومثال الإشارة إلى شعر قول الشاعر :

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى　　أرقّ وأحفى منك فى ساعة الكرب

أى والله لعمرو مع الأرض الحارّة ومع النار التى تلتهب وتخرج منها شعلة أرق، أى أكثر رحمًا، وأحفى أى أكثر لطفًا وشفقةً منك فى ساعة الكرب والألم، فقد أشار الشاعر إلى البيت المشهور :

المستجير بعمرو عند كربته　　كالمستجير من الرمضاء بالنار

٧- حسن الابتداء: واعلم أنه ينبغى للمتكلم -شاعرًا كان أو كاتبًا- أن يتتبع الوجه الأحسن فى ثلاثة مواضع من كلامه، حتى يكون كلامه أعذب

(١) أى طلب وقوفه.

لفظًا، وأحسن سبكًا، وأصحّ معنًى.

فمعنى كونه "أعذب لفظًا" أن يكون فى غاية البعد عن التنافر والثقل، ومعنى كونه "أحسن سبكًا" أن يكون فى غاية البعد عن التعقيد اللفظى والمعنوى.

ومعنى كونه "أصحّ معنًى" أن يسلم من التناقض وصعوبة فهم معناه، والابتذال ومخالفة العرف.

فمن تلك المواضع الابتداء، ومثال الابتداء الحسن فى ذكر الأحبّة ومنازلها قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ومثال الابتداء الحسن فى وصف الدار قول ا لشاعر:

قصر عليه تحية وسلام   خلعت عليه جمالها الأيام

ومن أحسن الابتداءات ما ناسب مقصود المتكلم، ويسمّى هذا الابتداء "براعة الاستهلال" من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى الابتداء البارع الفائق، فإن صاحب هذا الا بتداء يفوق غيره، مثاله قول أبى تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح:

السيف أصدق إنباء من الكتب   فى حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

وقول الشاعر:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا   وكوكب المجد فى أفق العلى صعدا

٨- **التخلّص**: والثانى من تلك المواضع التى ينبغى للمتكلم تتبع الأحسن فيها التخلّص، وهو الخروج مما ابتدأ به الكلام (مثل التشبيب والنسيب والأدب والافتخار) إلى المقصود مع رعاية الملائمة بين الابتداء والمقصود.

والمراد بالتشبيب: ذكر أيّام الشباب واللهو، وذكر النساء وجمالهن، وإنما يكون ذلك فى ابتداء القصائد، وقد يطلق التشبيب على مطلق الابتداء.

والمراد بالنسيب: وصف الجمال والحسن والمبالغة فيه، وأمّا في العرف فمعناه هو الخلاص عمّا افتتح به كلامه، والشروع في المقصود بعد رعاية المناسبة بينهما.

الاقتضاب ومفهومه: وقد ينتقل المتكلم من النوع الذي ابتدأ به كلامه إلى ما لا يلائمه، ويسمّى ذلك الانتقال بـ "الاقتضاب" وهو مذهب العرب الأول، ومن يليهم من المخضرمين[١].

فالاقتضاب في اللغة: الاقتطاع والارتجال، أي قطع الكلام السابق، والشروع في كلام آخر بدون رعاية المناسبة.

وفي الاصطلاح: هو الانتقال من كلام إلى ما لا يلائمه، مثال الاقتضاب قول أبي تمام:

لو رأى الله إنّ في الشيب خيرًا　　　جاورته الأبرار في الخلد شيبًا

ثم انتقل بلا ملائمة إلى ما يأتي:

كلّ يوم تُبدي صروف الليالي　　　خلقًا من أبي سعيد غريبًا

٢- ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلّص في أنه يوجد فيه شيء من المناسبة، كقول القائل -بعد حمد الله-: أمّا بعد: فإنه في كذا وكذا، فهذا اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء إلى كلام آخر من غير ملائمة، ولكنّه يشبه التخلّص؛ لأنه ما جاء بكلام آخر فجأةً بدون لحاظ الارتباط، بل قصد نوعًا من الربط على معنى "مهما يكن من شيء بعد الحمد والثناء فإنه كذا وكذا".

٣- ومن الاقتضاب القريب من التخلّص قوله تعالى: ﴿هذا وإن للطّاغين لشرّ مآب﴾ أي الأمر هذا ﴿وإن للطّاغين﴾ الآية، وكذا قوله تعالى: ﴿هذا ذكر وإن للمتّقين لحسن مآب﴾.

---

(١) هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام.

٤ - ومن الاقتضاب القريب من التخلّص قول الكاتب أو المصنف عند الانتقال من بحث إلى بحث آخر هذا باب فى كذا، وهذا فصل فى كذا.

٩- **الانتهاء**: والثالث من المواضع التى ينبغى للمتكلم تتبع الأحسن فيها الانتهاء وهو الاختتام؛ لأنه آخر ما يحفظه السمع ويرتسم فى النفس.

١ - فمن الانتهاءات المرضية قول أبى نواس:

وإنّى جـديـر إذ بلغـتُك بالمنى ... وأنت بما أمّلت منك جـديـر

فـإن تولّنى منك الجـميل فـأهله ... وإلا فـإنّى عـاذر وشكـور

٢ - وأحسن الانتهاءات ما أخبر بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى للنفس تشوّف وانتظار إلى ما وراءه، كقول الشاعر:

بقـيتَ بقـاء الدهر يا كـهف أهله ... وهذا دعـاء للبـرية شـامل

فأبلغ الابتداءات فواتح السور، وأجمل الانتهاءات خواتمها؛ لأنها واردة على أحسن وجوه البلاغة، وأكمل صور الفصاحة، وأطيب أنواع البراعة، وإنما يظهر ذلك بعد التأمل والتذكر لما تقدم من أصول البلاغة وقواعد الفصاحة وبعد إدراكها، والوصول إلى مغزاها، ثمّ رعايتها وتطبيقها على دقائق كلام الله ولطائفها.

ومن أحسن الكتب التى يكشف عن غوامض بلاغة كلام الله تعالى "الكشّاف عن حقائق التنزيل" للزمخشرى (٥٤٨هـ)، ومن أجمل ما يفتح به فصاحته "مفاتيح الغيب" (التفسير الكبير) للفخر الرازى (٦٠٦هـ) ومن أجمع ما يربط بين سوره وآياته هو "نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور" لبرهان الدين البقاعى (٨٨٥هـ).

التمرين

١ - ما هى السّرقات الشعرية؟ وكم نوعًا لها؟

٢ - اذكر مثالا للسرقة فى الشعر.

٣- اذكر أقسام الأخذ غير الظاهر، ومثّل لها.

٤ - عرّف الاقتباس، واذكر له مثالا من القرآن والحديث.

٥ - اذكر تعريف التضمين ومثاله.

٦ - وضح الفرق بين العقد والحلّ بالمثال.

٧- ما هو التلميح؟ بيّنه.

٨- عرّف التخلّص، واذكر له مثالا.

٩ - قدّم مثالا لحسن الابتداء ومثالا لحسن الانتهاء.

وبما أنّ إلى ربّنا المنتهى أنهى كلامى بحمد الله تعالى وثناءه، وأقول: وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٨/ ١١/ ١٤١٦هـ

المصادر التى راجعت إليها أثناء الشرح

١ - الإيضاح للقزوينى
٢، ٣- المطول والمختصر للتفتازانى
٤ - دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى[رح]
٥ - أسرار البلاغة للجرجانى[رح]
٦ - شرح الإيضاح لعبد المنعم خفاجى
٧- شرح دلائل الإعجاز له أيضًا
٨- المعانى والبيان والبديع (الثلاثة) للدكتور عبد العزيز عتيق
٩- علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغى
١٠ - البلاغة الواضحة لعلى الجارم ومصطفى أمين
١١ - البلاغة الصافية للبدخشانى
١٢ - البلاغة تاريخ وتطور للشوقى ضيف
١٣ - جواهر البلاغة للسيّد أحمد الهاشمى
١٤ - نهاية الإيجاز للإمام الرازى
١٥ - دروس البلاغة لجماعة من العلماء المصريين الأفاضل

الرحمٰن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان
سبحان من هو ذو المجد والامتنان ووشح الانسان بغرر البيان
ووفقنا على طبع هذه العجالة النافعة والعلالة الرائعة المسمى به
ميزان البلاغة
استاذ الاساتذة حضرت مولانا الشاه عبد العزيز الدهلوي قدس الله سره
بتحشية العالم الرباني مولانا مولوي عزيز الرحمن الديوبندي سلمه المنان
وتصحيح محمد بشير الدين المدرس لمدرسة الاسلاميه الواقعة في بلدة الاٹاوه
در مطبع مجتبائی واقع شهر میرٹھ زیور طبع گردید

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى والصلوة على نبيه تعالى

وآله واصحابه وناصره ومحبه مقدمة يقال

فصيح وبليغ لمن له انشاء كلام فصيح او بليغ

اى من يقدر على ايجاد كلام فصيح يقال له فصيح

ومن يقدر على ايجاد كلام بليغ يقال له بليغ

فالاول ما خلت مفرداته عن تنافر الحروف والغرابة

اى الفصاحة

واختلال الصيغة وتركيبه عن تنافر الكلمات

عطف على مفرداته اى ما خلت تركيبه من تنافر الكلمات الخ

وضعف التاليف والتعقيد لفظا ومعنى والثاني

كما فى ضرب غلامه زيدا

اى البلاغة

ما طابق مقتضى الحال فصيحًا و بزيادتها يبلغ الحسن
الكلام ای البلاغة ای حال کونہ فصیحًا

حد الاعجاز تدوّن لها علم المعانی وللتحرز عن
اسے وضع ای لمطابقة الکلام مقتضی الحال

التعقید المعنوی البیان وللمحسنات زائدة بما اقتضاها
اسے وضع للمحسنات الخ

الحال البدیع و تعرف ما عداهما بالحس و بما یفیل
فلا حاجة الی بیانہ فی ہذا الفن

الصحة من اللغة و النحو والصرف ؛

علم المعانی علم یعرف به احوال اللفظ العربی
لم یقل بعلم لاستعمالہم المعرفة فی الجزئیات

التی بها یطابق اللفظ مقتضی الحال و موضوعه
ہو الاعتبار المناسب للحال والمقام علم المعانی

الکلام الصادر عمن له ملکة التعبیر بکلام بلیغ

وينحصر فی ثمانية ابواب باب الاسناد الخبری

نسبة الفعل ومعناه الی ما هو له فی الظاهر عند المتکلم

حقيقة عقلية والی ملابس له بتأول مجاز عقلی

وشرط تصور الحقيقة والقرينة وطرفاه اما حقيقتان

او مجازان او مختلفتان ثم ان قصد افادة الحکم

او علمه به فلا يؤکد لخالی الذهن ويؤکد للمتردد استحسانا

وللمنکر وجوبا بحسب الانکار فالاول ابتدائی والثانی

طلبی والثالث انکاری وقد يجعل کغيرهما لما معه من الرادع

وتعكس بظهور امارته عليه باب المسند اليه

حذفه لظهوره او امتحان تنبه السامع وقدره

او صون اللسان عنه او العكس او تيسر الانكار

او تعينه وذكره للاصل او ضعف القرينة او

التعريض بغباوة السامع او الايضاح او الرفعة

او الاهانة او التبرك او التلذذ وتعريفه بالاضمار

لمقام التكلم ونحوه وبالعلمية لاحضاره ابتداء

باسم خاص به او للكناية او لما سبق وبالموصولية

للجهل بغير الصلة او الهجنة او التقرير او التفخيم او الايماء

الى بناء وجه الخبر او الحال او التنبيه على

الخطاء او الصواب وبالاشارة لتمييزه او التعريض

بالغباوة او بيان حاله قربا وبعدا ولما سبق وباللام

للعهد او الحقيقة او الاستغراق حقيقيا او غيره

وبالاضافة للاختصار او لما سبق وتنكيره للافراد

او النوعية او التقليل او التحقير او خلافهما

ووصفه للكشف او التخصيص او المدح او الذم

او التاكيد وتاكيده للتقرير او دفع التجوز او عدم

الشمول وبيانه للايضاح وابداله لزيادة التقرير

اى المسند اليه — المسند اليه

والعطف للتفصيل بالاختصار او للرد الى الصواب

نحو جاءني زيد وعمرو — نحو جاءني زيد لا عمرو

او للشك والتشكيك او صرف الحكم وفصله للتخصيص

نحو جاءني زيد او عمرو — اى ايقاع السامع في الشك نحو جاءني زيد او عمرو

وتقديمه للاصل او التمكن او التفريح او خلافه

لان الاصل في المحكوم عليه ان يكون مقدما

او لغير ذلك والتاخير لاقتضاء المقام وقد يخالف

كالتعظيم والتحقير وغيرهما

ما تقدم لنكت واعتبارات منها الالتفات

والتغليب وغيرهما باب المسند

اى باب احوال المسند

ذكره وتركه لما مرّ وايراده جملة لكونه سببيًا

مع قصد التقوّي وافراده لعدمهما وفعليته

للتقييد باحد الازمنة او التجدد واسميته لعدمهما

وتقييده بمتعلق لتربية الفائدة وتركه لمانع

وتنكيره لعدم موجب التعريف ولما سبق في التعريف

لعلمه وجهًا وجهله اخر وتقديمه

للحصر والتفاؤل والتشويق والتنبيه

على خبريته وتاخيره لاقتضاء المقام +++

باب متعلقات الفعل ذكر المفعول لافادة تلبسه

فان حذف وجعل كاللازم لم يقدر والا قدر الاليق

وجاز فيه لبيان بعد ابهام او دفع توهم او تعميم او

فاصلة او قبح وتقديمه للتخصيص وتقديم بعضها على

بعض للاصل والفاصلة باب القصر اما حقيقي للموصوف

على الصفة او عكسه واما غيره كذلك وهذا اما لدفع

الشركة فافراد او الخلاف فقلب او الشك فتعيين

والعمدة من طرقه انما هو العطف والنفي والاستثناء

والتقديم باب الانشاء تمنّ بليت ولو وهل وقلّ

بلعلّ ولا يشترط امكانه واستفهام وادواته معلومة

فهل للتصديق وغيره للتصور والهمزة لهما وترد لغيره

كاستبطاء وتعجب ووعيد وتقرير وانكار توبيخا وتكذيبا

او تهكم وتحقير وتهويل وامر ونهي وشرطهما الاستعلا

عند الاكثر ويستعملون للالتماس والدعاء والتهديد

والتعجيز والتسخير والاهانة والتسوية والتمني ونداء

وترد اداته لغيره كالاغراء والاختصاص والتلاثي

منها للبعيد وآی وآ للقريب واختلف فی یا والاصح لهما

ويقوم بعضها مقام بعض لنكت ويقع الخبر موقعه

تفاؤلا واظهارا للحرص **باب الوصل** هو عطف الجمل

والفصل تركه فان انقطعتا بلا ايهام او اتصلتا او

استئنافا او شبه احدهما او توسطتا ولم يقصد مشاركتهما

فی حكم واعراب فالفصل والا فالوصل ومن محسناته الاتحاد

فی الكيفية **باب التعبير** عن المقصود بمساوله مساواة وبناقص

وافٍ ايجاز وبزائد بفائدة اطناب والايجاز قصر

وحذف اما حذف مضاف او صفة او موصوف او شرط

وايجاز حذف ١٢

او جواب اما للاختصار او التعريض لعدم الاحاطة

اى تعريضا بان جواب الشرط لا يحيط بالوصف ١٢

او ذهاب السامع الى كل ما يمكن او جملة مسببة عن مذكور

عطف على مضاف اى اما حذف جملة مسببة الخ

او لا او اكثر ثم قد يقام شئ مقام المحذوف و قد لا

عطف على جملة اى يحذف اكثر من جملة واحدة ١٢

ويدل عليه بالعقل وعلى التعيين بالمقصود او العادة

او يدل عليه العادة ١٢

او الشروع فى الفعل والاقتران والاطناب اما بالايضاح

بعد الابهام او توشيع بمعطوفين بعد مثنى و بختم بما يفيد نكتة

وبدل منها ايغال او تذييل بجملة بمعنى سابقها للتوكيد

النكتة ١٢

القياس وسنا الاقران كقولهم للعرس بالرفا والبنين اى اوست بالرفا والبنين ١٢ ٥٥ قوله وجدنشاه اى وجدون نكتة لا بد منها

او التكميل والاحتراس بدفع توهم خلاف المقصود

يكون الاطناب بالتكميل ١٢

او تفصيل لنكتة دونه فتتميم او بجملة فاكثر بين الكلام

اى تفصيل الكلام ١٢ — اى بدون دفع توهم خلاف المقصود ١٢

فاعتراض ويكون بالتكرير وذكر الخاص بعد العام

الاطناب ١٢

علم البيان علم يعرف به ايراد المعنى فى طرق مختلفة

الواحد ١٢

بالزيادة والنقصان فى وضوح الدلالة وموضوعه الكلام البليغ

من حيث الدلالة العقلية ودلالة اللفظ على المعنى من الوضع

اى على تمام المعنى الموضوع له ١٢

مطابقة وهى الوضعية ومن الجزئية تضمن ومن حيث الخروج

ايضا ١٢ — دلالة اللفظ على جزئه كدلالة الانسان على الحيوان او الناطق تسمى تضمنا ١٢

عنه واللزوم له ذهنا ولو عرفا التزام وهما عقليتان

اى نشرط فى الالتزام اللزوم الذهنى ١٢

١٢٣

والاخيران ان اقترن بقرينة عدم ارادته مجازا وبمزيد

قصد فكناية وقد يبتنى على التشبيه فانحصر في ثلثة ابواب

باب التشبيه هو الحاق امر بامر في مشترك وطرفاه حسيان

او عقليان او مختلفان مفردان مقيدان او مطلقان

او مختلفان او مركبان او مختلفان وان تعددا فان

اتحدت الاداة فملفوف والا فمفروق او الاول فتسوية

والثاني فجمع والمشترك تحقيقي او تخييلي وان انتزع

من متعدد فتمثيل وان فهمه الكل فجلي والا فخفي قريب

وتشبيه ودون كذا ان حذفت الاداة والا فمرسل وان
ذكرت فمفصل والا فمجمل ومقبول هو الوافي بالغرض
والا فمردود واعلاه ما حذف وجهه واداته فقط
ومع حذف المشبه ثم لحدّهما باب المجاز
هو قسمان مفرد وهو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له
في التخاطب مع عدم ارادته ولا بد من علاقة فان كانت
غير المشابهة فمرسل والا فاستعارة فان تحقق معناه
حسًّا وعقلا فتحقيقية واجتمع طرفاها في ممكن فاتفاقية

او ممتنع فعنادية او ظهر جامعها فعامة والا فخاصة

هذا تقسيم باعتبار الجامع اى ان قصد اشتراك الطرفين فيه ١٢

والمستعار ان كان اسم جنس فاصلية والا تبعية

فالاستعارة ١٢

وان لم يقترن بصفة ولا تفريع فمطلقة او بملائم للمستعار له

ما يلائم المستعار له او المستعار فيه ١٢

فمجردة او المستعار منه فمرشحة او اضمر التشبيه فمكنية

اى او بملائم المستعار منه ١٢ — فى النفس فلا يصرح بشئ من اركانه سوى المشبه ١٢

ويدل عليه اثبات ما يختص بالمشبه به هو التخييلية

الاستعارة التخييلية

ومركب وهو المستعمل فى ما يشبه بالاصل تمثيلا

اى بمعناه الاصلى ١٢

باب الكناية

لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه وبه يمتاز عن المجاز والمطلوب بها

معناه ١٢ — لازمه ١٢ — وبهذا القيد ١٢ — اى بالكناية ١٢

اما صفة فبعيدة ان انتقل بوسط وقريبة ان لا

اى المطلوب بالا صفة

او نسبة او موصوف ويتفاوت الى تعريض وتلويح

نحو المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه فانه كناية عن نفي صفة الاسلام عن المؤذي

وايماء ورمز واشارة وهي والمجاز والاستعارة

اى الكناية والمجاز والاستعارة ابلغ من الصريح والحقيقة والتشبيه

ابلغ من الصريح والحقيقة والتشبيه علم البديع

علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة

ووضوح الدلالة وهي معنوية ولفظية فمن الاول

ورعاية وضوح الدلالة — اى وجوه التحسين — اى راجعة الى تحسين اللفظ

المطابقة وهي جمع الضدين في الجملة فان ذكر معنيان

ويسمى الطباق والتضاد ايضا — اى ولو في بعض الصور — متوافقان

فاكثر ثم بما يقابلها مرتبا فمقابلة او متناسبان

اى ثم يؤتى بما يقابل ذلك المذكور من المعنيين المتوافقين او المعاني المتوافقة على الترتيب

١٧

فمراعاة النظير وخاتمة لمناسب المعنى فتشابه الاطراف

ويسمى مراعاة النظير نحو الشمس والقمر بحسبان ۱۲

او يجعل قبل العجز ما يدل عليه فارصاد وتسهيم

من الفقرة او البيت ۱۲ العجز ۱۲

وبلفظ غيره لوقوعه فى صحبته فمشاكلة والمزاوجة

اى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوع ذلك الشئ فى صحبة الغير ۱۲

ان يوقع بين معنيين فى الشرط والجزاء والعكس تقديم

المزاوجة ۱۲

جزء ثم تاخيره والرجوع هو العود الى السابق

اى تاخير ذلك الجزء المقدم ۱۲ اى الكلام السابق ۱۲

بالنقض لنكتة والتورية ارادة ما بعد من معنى

ومنه التورية ويسمى الايهام ايضا ۱۲

اللفظ وان اريد احدهما ثم بضميره الآخر فاستخدام

اى اريد بلفظ له معنيان احدهما ۱۲ المعنى الآخر ۱۲

واللف والنشر هو ذكر متعدد ثم ما لكل والجمع ان يجمع بين متعدد

ومن المعنوى اللف والنشر ۱۲

في حكم فان فرق في الجهة فجمع وتفريق والتقسيم ذكره

ثم اضافة ما لكل اليه معينًا فان قسمت فجمع وتقسيم

والتجريد ان ينتزع من ذي صفة آخر مثله مبالغة

لكمالها فيه وان ادعى بلوغها الى حد مستحيل

او مستبعد فان امكن عقلا وعادة فتبليغ او لا عادة

فاغراق او لا مطلقا فغلو ويقبل منه ما فيه تخييل

حسن او قصد هزل وتقريب الى الصحة المذهب الكلامي

ايراد حجة على مطلوب بطريقة اهل الكلام

بلا تكلف القول بالموجب تسليم المقدمات والخلاف

في النتيجة تجاهل العارف سوق المعلوم مساق المجهول

الهزل المراد به الجد واستنتاج جد من هزل ومن التالي

اي ومن المعنوي الهزل الذي يراد به الجد كقوله اذا ما تميمي اتاك مفاخرا فقل عد عن ذا كيف اكلك للضب

الجناس وهو تشابه اللفظين فان اتفقا حروفا وعددا وهيئة

من نوع فتماثل او من نوعين فمستوفى او احدهما مركب

واحد اي كانا من نوع واحد اي اسمين او فعلين او حرفين ١٢

فتركيب فان اتفقا فمتشابه والا فمفروق او اختلفا شكلا

فمحرف او لفظا فمصحف او عددا فناقص فان كان الزائد في

الاول فمطرف او الوسط فمكتنف او في الآخر فمذيل

نحو جدي جهدي ١٢

وان اختلفا جنسا فان تقاربا فمضارع والا فلاحق

اى نوعا — فى المخرج

او ترتيبا فمقلوب فان كان فى الاول والاخر فمجنح

اى اختلفا فى الترتيب — اصل اللفظين — اى فى اول البيت — فى آخره

او تشابها فى بعض الحروف فمطلق واجتمعا فى الاصل

اى تشابه اللفظان فى الاشتقاق ببعض الحروف — نحو قال انى لعملكم من القالين — اى فى اصل الاشتقاق

فاشتقاق او توالى متجانسا فازدواج ردّ العجز

نحو فاقم وجهك للدين القيم فانهما مشتقان من قام يقوم

على الصدر الختم يرادف الابتداء اى مجانسه

الابتداء

والسجع تواطؤ الفاصلتين على حرف واحد فان اختلفا

السجع فى النثر كالقافية فى النظم — من النثر — فى الآخر

وزنا فمطرف او استوى القرينتان وزنا وتقفية

فترصيع والا فمتواز التشريع بناء البيت على

قافيتين لزوم ما لا يلزم وان يجيء قبل حرف الروي

او القافية ما ليس بلازم في السجع القلب كوز عكس

الكلام كطرده التضمين ذكر شيء من كلام الغير فان كان بينًا

فاستعانة او مصراعًا فايداع او ما دونه فرفوء

ومن القران والحديث فاقتباس او اشارة الى قصة او شعر

فتلميح او نظم نثر فعقد او عكسه فحل والاصل تبعية

اللفظ للمعنى لا عكسه وينبغي التأنق في الابتداء

والتخلص فان كان الابتداء موذيا بالمقصود فبراعة

الاستہلال والانتہاء مشعرا بالختم

فحسن اختتام ختم بحسن الاختتام

بعون اللہ ذی الانعام

بالخیر تمت

فهرس الموضوعات